سِلسلَة فَضَائح الحَضَارَة الغَربيَّة ٣

ترجمات القرآن إلى أين؟

وجهان لجاك بيرك

الأستاذة الدكتورة
زينب عبد العزيز

النهار للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمات القرآن إلى أين؟

وجهان لجاك بيرك

الطبعة الثالثة

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

رقم الإيداع : ٢٩٠٤ / ٩٤

تطلب جميع مطبوعاتنا من : مكتبة المجلد العربى ١١٦ ش جوهر القائد ـ أمام جامعة الأزهر ـ ت : ٥٩١٢٥٢٤

توزع جميع كتبنا فى المملكة المغربية عن طريق : دار الأمان للنشر والتوزيع ٤ زنقة المأمونية ـ الرباط

هاتف : ٢٧٦ ـ ٢٧٣ (٧ ـ ٢١٢) فاكس : ٠٥٥ ـ ٢٠٠٠(٧ـ٢١٢)

سلسلة فضائح الحضارة الغربية ٣

ترجمات القرآن إلى أين؟

وجهان لجاك بيرك

بقلم

دكتورة زينب عبدالعزيز

أستاذ الحضارة

ورئيس قسم فرنسي بكلية الآداب

جامعة المنوفية

(سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الذين دافعوا عن چاك بيرك بالباطل . علهم يتقون...

وإلى الذين بيدهم تصويب الأمر بالحق . علهم يفعلون...

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

(يوسف ٦٤)

** مقدمة الطبعة الثالثة **

سبع سنوات مضت منذ ظهور الطبعة الأولى فى يناير ١٩٩٤م ، اعترتها العديد من المحاولات المنبتة للدفاع عن چاك بيرك وعن ترجمته المغلوطة لمعانى القرآن الكريم .. وأيا كانت الأساليب التى اتبعها أصحاب المحاولات من تمويه على الفريات أو التحكم فى وسائل الإعلام لعدم ظهور الأصوات المدافعة عن كتاب الله وعن سيد المرسلين صلوت الله عليه وسلامه ، فقد خبا التعيق النشاز مدحورا ، ولم تبق سوى الحقائق مجردة .. حقائق التلاعب والمخادعة للنيل من الإسلام والمسلمين من جهة ، وحقائق من قاموا بكشفها من جهة أخرى ..

ولانجد ما ننهى به هذا التقديم المقتضب سوى كلمات الله عز وجل :
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١ : الإسراء) .

صدق الله العظيم

** وجهان لجاك بيرك **

نعم ، وجهان لجاك بيرك وليغضب كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو ، أو غيره من المغرضين .. وأقول وجهان لأنه تعامل مع النص القرآنى بوجه ، ويتحدث عنه فى أحاديثه السيارة بوجه آخر .. ولا أناقش هنا مكانة چاك بيرك مستشرقاً أو صديقاً للعرب والمسلمين ـ حتى ولو كان على مدى كتاباته بأسرها ـ لكن ما اقترفه فى حق القرآن والإسلام تضامنا مع تلك الهجمة الشرسة التى يقودها الغرب برياح تعصبه الراسخ ، بحاجة إلى وقفة أمينة وليس إلى تملق طائش ، أو بعض النفاق المنمق .

ـ ولم نتصدر لهذه الترجمة بالذات دون غيرها لمجرد أنها من أحدث الترجمات التى ظهرت لمعانى القرآن الكريم ـ وإن كان ذلك وحده يكشف موقف الغرب واستمراره المستميت فى محاربة الإسلام ـ وإنما لكل ما واكبها من مساندة إعلامية مغرضة شائهة الأسانيد والمرمى ، مشحونة بالمغالطات التاريخية والدينية ، بل لقد وصل التبجح بالبعض إلى درجة اعتبارها القرآن نفسه مكتوبا باللغة الفرنسية (راجع مجلة القاهرة العدد ١٢٩ أغسطس ٩٣) .

فلقد ظهرت فى الشهور الماضية عدة مقالات ـ فى الصحف والمجلات اليومية ـ تدافع عن چاك بيرك وترجمته المغلوطة لمعانى القرآن .. وتتضافر فى الغضب لغضبه .. وكان آخر هذه المقالات ما ظهر منها فى إحدى المجلات الأدبية تغص بالمديح الممجوج وتبالغ فى التغنى بمكانته ..

والقضية المطروحة هنا ليست مجرد إدانة شخص أو الدفاع عنه ، وإنما هى إدانة مسببة لشخص تلفع بصداقته الطويلة ، أو المعروفة للعرب والمسلمين، واختبأ تحت لافتة عضويته بالمجمع اللغوى المصرى ، ليوجه للإسلام أعتى ما يمكن أن يوجهه له من طعن بتحريف معانى القرآن عمدا ، ومحاولة النيل منه طوال دراسة تحليلية مزعومة تتشدق بالعبارات اللغوية الرنانة لتخفى ما تتضمنه من فريات ..

وهذه الإدانة المسببة لا يجب أن ينظر إليها بعين مجردة ، أو فى حد ذاتها ـ وإن كان ذلك لا يقلل مما بها من طعنات ـ وإنما يجب أن توضع فى الإطار العام السياسى والاجتماعى الذى يحيط بالإسلام خاصة فى هذا العقد، عقد التسعينات ـ الذى يحاول الغرب خلاله أن يجهز على الإسلام والمسلمين.. وهنا تأخذ القضية كل أبعادها وتظهر فداحة ما اقترفه چاك بيرك على حقيقته..

فلا بد من وقفة قصيرة نتناول خلالها نبذة تاريخية حول ترجمات معانى القرآن حتى يتمكن القارئ من إدراك مختلف جوانب الموضوع :

يقول الأب روبير كاسبار : «إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، بل ولم يحاول ذلك مطلقا .. وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال يوحنا الدمشقى ، تيودور أبى قرة ، أو بولس الصيدونى ، فلم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته ، وهى : التصعيد إلى الله الواحد الأحد .. ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحى قد اكتفى لمدة قرون طويلة بتلطيخ الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال، دون حتى أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة ، فأول ترجمة لاتينية

للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر ، أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام ، وقد تمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل وتحت إشراف أسقف ديركلونى ، ولابد لنا هنا من إضافة : إن هذه الترجمة وكل الترجمات التى تليها لم تكن لها أى هدف آخر سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن ، وتلك الإدانات التى امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء (Vatican II صفحة ٢٠٩) .

وتمر الأيام من منتصف القرن الثانى عشر حتى القرن العشرين ، من تلك الترجمة الأولى لمعانى القرآن ، والتى تمت من أجل زيارة البابا لأسبانيا فيما بين عامى ١١٤١هـ و ١١٤٣هـ ، وتتغير المسميات والأسماء ، لكن الغرض يظل واحدا .. فها هو المستشرق الفرنسى رجيس بلايشير يقول فى مقدمة كتابه عن «القرآن» ، عن هذا البابا المبجل : «وكان طلبه لترجمة القرآن استمرارا لروح الحروب الصليبية ، ومن جهة أخرى لحاجته إلى ما يمحو به أيه آثار ما زالت عالقة بذهن المسلمين الأسبان الذين تم تنصيرهم حديثا .. ويبدو أن الترجمة التى تمت فى مدينة توليدو لم تكن أمينة بالمرة وغير كاملة» (صفحة ١٠) .

والنص ليس بحاجة إلى تعليق ، فما تم آنذاك من «غسيل مخ» لمن نجو من المذابح الصليبية فى أسبانيا ، هو بعينه ما يدور حاليا لنساء البوسنة وأهلها الذين تأخذهم الجمعيات الكنسية وغيرها وتفرض عليهم الارتداد عن الإسلام، وإن كانوا حاليا ليسوا فى حاجة إلى مزيد من تزييف النصوص ، فالقهر والاغتصاب بأنواعه يكفى ...

ثم توالت الترجمات ، وكلها تندفع من نفس المنطلق حتى كان القرن السادس عشر ، وبدأ يظهر الاستشراق والاهتمام بدراسة اللغة العربية بغية مزيد

من التوغل ومزيد من الهدم والتجريح . وفى القرن السابع عشر قام أندريه ريبه (١٥٨٠- ١٦٦٠)م قنصل فرنسا فى مصر عام ١٦٣٠م بعمل أول ترجمة للنص العربى نشرت عام ١٦٤٧م . وكانت أول محاولة بها شئ من الموضوعية للإبتعاد عن الصراعات وإن كانت مقدمتها تزخر بالمغالطات ، لكنها ما كادت تظهر فى الأسواق حتى تبعتها ترجمتان : إحداهما بقلم چرمان دى سليزى ، والأخرى بقلم لودفيكو ماراتشى لتعودا بترجمات معانى القرآن إلى حظيرة التعصب وحلبة الصراع التى بدأها البابا بطرس المبجل «والتى تم خلالها تفنيد الدين الإسلامى ورفضه من خلال تعاليم القرآن» (بلاشير : «القرآن» صفحة١١) .

وتتربع ترجمة المستشرق الألمانى نولديكه مكانة الصدارة بكل ما تحمله من تحريف يتلفع بأعلى المستويات العلمية اللغوية ، أليس هو القائل فى وصف القرآن وسيدنا محمد (ﷺ) إنه : «صائغ غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب» ؟!. وهى الترجمة التى يتذرع بها بلاشير ليقول عن القرآن: «ذلك النص الغامض عادة ، والذى يصعب فهمه فى سياقه الذى لايتفق – ونصرّ على ذلك – مع المراحل الأربع المتتالية لنبوة محمد فى مكة وفى المدينة» (المرجع السابق صفحة ١٣) .. ولم يكتف بلاشير بالإصرار على تجريحه بقضية ترتيب الآيات المعروفة ، التى لو رجع إلى كتب الفقه والتراث الدينى لعرفها ، وإنما ها هو يرمى بضربته الأخرى قائلا : «إن الرغبة فى فرض نص ثابت لايتغير تبدو من ذلك الفعل الدنس ، أو انتهاك الحرمات من جانب الصحابة الذين قاموا بإبادة كل الأشياء التى تم تسجيل الآيات عليها بأياد ورعة قامت بجمعها من فم الرسول» ! (صفحة ٢١ من نفس المرجع) .

فعلى الرغم من اللباقة واستخدام الألفاظ المغلّفة والمنمقة من ورع وغيره وتباكيه على ضياع الأصول ، إلا أن فحوى خطابه يتضمن الإشارة إلى تلاعب ما ، وإبادة الأصل لعدم الكشف عما تم من تحريف .. وهى ليست إلا عملية إسقاط لما قامت به الكنيسة فى أناجيلها ومجامعها ، وطرحها على القرآن الكريم الثابت نزوله وتثبيته بلا أى تحريف ... بل وها هو يصل به الأمر إلى التشكيك حتى فى نص مصحف عثمان اعتماداً على الهجوم الذى يكيله الغرب بمستشرقيه .. وما أغرب ازدواجية رچيس بلاشير هذا ، فهو من ناحية يعلم ويقول إن كافة ترجمات القرآن قد تمت بغية إدانته وتجريح شرائعه ، ثم ها هو يتذرع بهذه الانتقادات ذاتها ليقول : « وحيال كل هذه الانتقادات نحن مساقون لأن نسأل الكتابة القديمة أن تأتينا بإجابة عن مسألة الأمانة المطلقة لنص مصحف عثمان » !! (المرجع السابق : صفحة ٢٥) .

وتمر الأيام ، وتتساقط أوراق التوت عن عورة الاستشراق وينكشف أمره.. فهو كمنهج علمى ومحاولة فكرية لفهم حضارة الإسلام وعقيدته وتراثه لم ينشأ إلا لمهاجمته والتنديد به وبأمة الإسلام .. ولعل ذلك هو ما دفع المستشرق چاك بيرك إلى رفض وإنكار انتمائه إلى الاستشراق والتمسك بأنه دارس للتاريخ ومؤرخ !! وإن كان فى واقع الأمر لايقل خداعا والتواءً عن بقية المستشرقين ..

ولم يعد ذلك الموقف المغرض وحده هو ما يدين الاستشراق وأمانته العلمية وإنما أثبتت الدراسات التى قام بها العلماء العرب والمسلمون بأن أولئك المستشرقين الذين يدّعون فهم العربية ، هم فى الواقع لايحسنونها .. وعلى الرغم من هذا الجهل الواضح باللغة ، التى تعد أداة العمل العلمى الذى

يزعمونه ، فهم يصدرون أحكاماً مغرضة من حيث الشكل والمضمون وأمانة تنزيه القرآن ، وذلك فيما يكتبونه من مقدمات علمية ليست فى الواقع سوى معاول هدم متعددة الأوجه ، تدور جول محور أساسى واحد هو : زعم أن القرآن عقبة فى سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية !! .

وذلك بعينه هو ما كان يردده اللورد كرومر فى كتاباته فى مطلع هذا القرن وبناء على آراء مستشاريه من المستشرقين : « إن القرآن هو المسئول عن تأخر مصر فى مضمار الحضارة الحديثة » أو « لن يفلح الشرق مالم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن » ! (مصر الحديثة ١٩٠٨) .

وذلك بعينه هو الهدف العام الذى اتبعه المستشرق جاك بيرك فى ترجمته لمعانى القرآن التى صدرت عام ١٩٩٠م ، ولم تكشف عن أنه إنسان بوجهين فحسب ، بل عن أنه يفتقد الأمانة العلمية فى ترجمته وفى أسلوبه الذى يشى عن تعصب مغرض أدى به إلى تشويه صورة الإسلام .. ومن المؤسف أن يقوم أحد تلاميذه ليعلن على لسانه فى مؤتمر « نحو مشروع حضارى جديد » المنعقد فى جامعة القاهرة فى يونيه ١٩٩٢م ، عقب إشارتنا إلى هذه الترجمة المغلوطة قائلا : « إن جاك بيرك يأسف لما صدر عنه عفواً وهو على استعداد لتصويب هذه الأخطاء » !!

وهنا لانملك إلا أن نسأل ما جدوى الاعتذار الشفهى ، أو الوعد السيار بالتصويب بينما آلاف النسخ تتداول بين أيدى ملايين المسلمين المقيمين فى فرنسا ، أو فى بقايا مستعمراتها والذين لايقرؤون سوى الفرنسية ؟! . ما جدوى الوعد بالتصويب ولا تخلو صفحة واحدة من هذه الصفحات الثمانمائة وثلاثين من أكثر من خطأ متفاوت الفداحة ، أو الأهمية ؟! .

لذلك نستشهد بالمثل القائل : « لكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة » .. ومن البديهى أنه كلما ارتفعت مكانة العالم وارتقى ، كلما كانت «هفوته» بنفس القدر انحداراً ولاشك فى أن چاك بيرك يعد من عمالقة الفكر الفرنسى المعاصر ، ولاشك فى أنه واحد من ألمع المستشرقين المولعين بالشرق حتى بثيابه وجلبابه الذى يرتديه ، ولاشك أيضا فى معرفته اللغة الفرنسية حتى مفرداتها البالية أو غير المستخدمة ، ولاشك كذلك فى معرفته اللغة العربية بدليل حصوله على عضوية المجمع بمصر .. أى بقول آخر : إنه عملاق فى مجاله ، ومن هنا يمكن إدراك عمق «الهاوية» حينما يسيقط من فى مثل مكانته ..

ولاشك فى أن الجهد الذى قام به لترجمة معانى القرآن ، ذلك الجهد الذى استغرق مايزيد على العشر سنوات ـ على حد قوله فى الأحاديث الصحفية (القبس ١٩٨٩/١/٢٦) ـ هو جهد عملاق .. وكم كنا نود أن يؤتى ثماره لتكلل المكانة العلمية التى يحتلها .. لكن من المؤسف حقاً أن تخرج ترجمته هذه إلى النور وهى تحمل بين صفحاتها العديد من الظلمات والنواقص .. وكلمة «العديد» هنا مجازية ، فما من صفحة تخلو من الأخطاء، وما كنا نرجو لمن هو فى مثل مكانته العلمية بأن تحمل آخر أعماله ـ وعن القرآن الذات ـ مثل هذه السقطات المتعمدة .. لكن الأخطاء فى الأعمال العملاقة.. عملاقة أيضاً ..

ونظرا لخطورة الموضوع وحساسيته الشديدة من ناحية ، ونظراً لتعدد عناصره وتشعبها من ناحية أخرى فلابد لنا من تناولها تباعاً وبوضوح حتى يتمكن القارئ من متابعتها وحتى لايلتبس الأمر وتتوه الحقائق ..

ومنذ البدء ، لا أزعم أننى قرأت كل ترجمته لمعانى القرآن ، وإنما قرأت بروّية المقدمة التى كتبها ، وتقع فى اثنين وثمانين صفحة ، ولا أزعم أيضا أننى من الضالعات ، أو الضالعين المتخصصين فى الدين الإسلامى وفقهه ، إلا أن ما ورد فى هذه المقدمة من مغالطات وتحريف ومعانى تتخفى بمسوح العبارات اللغوية المعضلة والسفسطة العلمية ـ فأسلوب چاك بيرك مشهور بتحذلقاته الملتوية التى تطغى أحيانا كثيرة على المعنى .

وكل ما ورد فى هذه المقدمة من تشويه واستفزاز ، يحتم علىّ ـ كأستاذة للحضارة أتمت كل مراحل تعليمها بالفرنسية ـ أن أقدم بعضا مما ورد فى هذه المقدمة وبعض ما رأيته فى الترجمة ، حتى يتمكن المختصون والمهتمون بهذا الموضوع من مجابهة فرياته ، والاهتمام الواجب للتصدى لما أتى به چاك بيرك فى هذا العمل المشين .

وقبل أن نتناول ما ورد فى هذه المقدمة لابد من أن نتساءل : ترى لماذا هذه الترجمة الجديدة لمعانى القرآن ؟ لماذا ، وهناك العديد من الترجمات وأغلبها قام بها مستشرقون مثله ؟! من المعروف أنه حينما يتعرض المرءُ لترجمة عمل ما ـ خاصة وإن كان ذلك من اختياره المطلق وليس بتكليف ما ـ فإنه عادة ما يرجع لأحد أمرين :

* إما أن يكون إعجاباً بهذا العمل ورغبة منه فى نقل ما ورد فيه إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

* أو احتجاجا على ما تضمنه ، فترجم للرد عليه ، أو أملا فى أن يتولى الآخرون هذه المهمة .

ولا أعتقد أن ما ورد فى مقدمة جاك بيرك المشحونة بالفريات ، ولا فى نص ترجمته برمته ما يسمح بأنه إنما قام بهذا الجهد كله إعجاباً بالقرآن وبالمسلمين !!

إن هذا السؤال الأول يقود إلى السؤال الثانى ، وهو : ترى لمن هذه الترجمة ؟ من غير المعقول ـ بداهة ـ أنها تمت من أجل المسلمين المتحدثين باللغة العربية ، فجميعهم يقرؤون القرآن فى لغته الأصلية التى هى لغتهم الأم.. أى أن هذه الترجمة قد تمت ـ بلا شك ـ من أجل المتحدثين باللغة الفرنسية ، وهم إما أن يكونوا من الفرنسيين أنفسهم ، وإما من الشعوب المتحدثة بالفرنسية ـ ولا أعتقد أن أغلبهم من المسلمين .

ولعل التعبير الذى قاله جاك بيرك ضمن حديث له مع مراسل جريدة «القبس» (١٩٩١/٦/٢٢م) يكشف عن الهدف الحقيقى لهذه الترجمة ولهذا الجهد المنبت الذى قام به إذ يقول ضمن سياق الحديث :«لأن الكثير من الناس والمفكرين الآن ينبذون الصورة المادية للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك ، هذا المجتمع المادى المحض ، ويفضلون على المدنية المعاصرة مدنية الإسلام الروحية ، وينادون بالعودة إليها » ! أى أنه أدرك أن تحول العديد من الناس والمفكرين عن معتقداتهم ، أو دياناتهم غير الإسلامية ـ سواء فى فرنسا ، أم فى البلدان الخاضعة لسيطرتها ـ واعتناقهم الإسلام هو واقع معاش اليوم ، وهو فى الحقيقة الأمر الذى يفزع منه جاك بيرك ، كما يبين فى المضمون الخفى للعبارة ، فراح يسفه لهم معانى ذلك القرآن الذى يجذبهم بروحانياته وباتزان تعاليمه الشاملة للحياة الدنيا وللآخرة ، أملاً فى الحد من هذه الموجة الآخذة فى الانتشار رغم القهر، ورغم محاولات الإبادة .

وليس هذا الموقف بغريب ، أو بجديد على القرآن وعلى الإسلام والمسلمين، فها هو مستشرق آخر ومعاصر له ومن بنى جلدته المستشرق رجيس بلاشير، الذى كثيرا ما استشهد به چاك بيرك لتبرير فرياته ، ها هو يقول فى مقدمة كتابه عن «القرآن» متحدثا عن الصورة المشوهة ـ بصفة خاصة ـ التى قدمتها أوربا المسيحية عن محمد (ﷺ) مشيرا بذلك إلى العديد من الترجمات التى تمت لمعانى القرآن ، منذ القرن الخامس عشر ، والتى كانت «كلها تمثل عنصراً أساسياً فى الصراع القائم ضد الإسلام» .

وعلى الرغم من هذا الاعتراف الواضح ، وعلى الرغم من هذا التبرير لكتابة بحث جديد عن القرآن فإن رجيس بلاشير لم يكن هو أيضا بالأمانة التى يزعمها كما أشرنا ، وإن كانت تلك قضية أخرى إلا أن ذلك يأتى للأسف كاستمرار لنفس الخط ولنفس النغمة النشاز من القرن السابع منذ ظهور الإسلام وبداية انتشاره حتى اليوم .. ألم يكتب صمويل زويمر ـ زعيم المبشرين فى العصر الحديث قائلا فى كتابه المعنون : «الإسلام تحد للعقيدة» وذلك فى مطلع مقدمته : «إن كنائس المسيحية قد استيقظت أخيراً لحقيقة أن إحدى المشاكل الكبرى التى لم تحل بعد ، والتى تواجه إرساليات القرن العشرين هى تبشير العالم الإسلامى» ؟! .

ولاحصر لكل ما كتب قبلها ، أو بعدها من عبارات ، وكم كنا نود ألا نمس هذا الجانب وتلك الحروب التشويهية ، الخفية منها والمعلنة التى قادتها الحروب الصليبية بأشكالها ضد الإسلام . وهو ما طالب مجمع الفاتيكان الثانى باستبعاد صوره فى القرارات التى اتخذها عام ١٩٦٥م .. إلا أن الأمور قد سارت ـ فى الواقع ـ على عكس هذه «القرارات المعلنة» ، بل واستمرت

مؤتمرات التبشير ، ولا نذكر منها إلا ذلك المؤتمر العام الذى انعقد فى لوزان عام ١٩٧٤م ، ومؤتمركولورادو فى شمال أمريكا ، المنعقد عام ١٩٧٨م، والذى حضره مائة وخمسون متخصصا فى شئون التبشير ، وتمت خلاله دراسة أربعين بحثا تدور كلها حول هذا الهدف ، ولانقول شيئا عما يدور من مذابح للمسلمين على الصعيد العالمى ، تلك المذابح التى تواكبها أعمال المبشرين والمنظمات غير الحكومية . وكلها أحداث تدور على الملأ فى وضح النهار .. وتأتى الترجمة الجديدة لجاك بيرك لمعانى القرآن وكل ما تتضمنه من انتقادات وتساؤلات وتلميحات ، وكل ما تتضمنه من نزعة استخفافية برزت من بين ثنايا عباراته المتحذلقة ، بجانب تلك المغالطات التى يشى الكثير منها بدرجة من درجات التعسف فى تناول الوقائع ، وبدرجة من درجات التواطؤ ، رغم كل ما يتناثر هنا وهناك من مديح ، أو إعجاب ، وذلك برمته يكشف الوجه الآخر لجاك بيرك .. الوجه الآخر الذى لايظهر أبداً فى أحاديثه السيارة عن العرب والمسلمين ، أو حتى من إعجابه بالإيقاع والنغم فى عبارات القرآن !! .

ففى الأحاديث التى أجريت معه بصدد هذه الترجمة (القبس ، الأعداد السابقة) راح جاك بيرك يتشدق بكل صفات الإعجاب فى البناء اللغوى والأسلوب وكل من يحتوى عليه من إيقاع ونغم ، وبخاصة اهتمامه بالحفاظ على ذلك كله موضحا بذلك مدى صعوبة الترجمة ، بل مبرراً بذلك المغالطة الكبرى التى اقترفها فى الحفاظ على نفس ترتيب الكلمات العربية عند ترجمتها إلى الفرنسية .. الأمر الذى أضفى إبهاما لاضرورة ولا مبرر له إلا تشويه المعنى .. وكل إنسان يتعرض للترجمة يعلم أن من أبجدياتها حتمية تغيير مواقع الكلمات فى الجملة ، فى كثير من الأحيان ، بغية الحفاظ على

وضوح المعنى ، وهو ما يطلب من المترجم .. إلا أن السيد چاك بيرك قد رأى عكس ذلك .. ومن هنا فإن ما قاله من مديح فهو قاصر على الشكل ، إن أمكن القول ، أما حينما تناول المضمون القرآنى الذى كان يتعين عليه أن يلتزم بأقصى درجات الوضوح والأمانة العلمية والموضوعية ، فما كتبه يقول للأسف شيئا آخر ..

أن المحاور الأساسية التى تناولها فى المقدمة التحليلية تكفينا الكثير لإدانة هذا العمل المغرض ، وهاك بعض ما ورد فيها :

* التشكيك فى نزول وترتيب القرآن : «إن المصحف لايتبع الترتيب الزمنى للتنزيل ، والأكثر من ذلك كثيرا مانجد بداخل نفس السورة آيات نزلت فى أوقات متباعدة ، ولاترى العقيدة ولايرى علم الإسلام أى قلق فى ذلك... بل إن التنافر بين ترتيب النزلو وترتيب الجمع يتسع أحيانا إلى حد التناقض كما فى سورة «الأنفال» وسورة «التوبة أو الوشاية» لدرجة أن الآيات تتلاحق فى الطبعات ، ولاتحمل العلامة التقليدية التى تشير إلى بدايتها ، فتبدو وكأنها جزء من الآية السابقة» (صفحة ٧١٤ ،٧١٥) .. وبعد عدة صفحات يضيف قائلا : «والمؤمن لايتساءل بالطبع حول هذه التفاوتات الشكلية (صفحة ٧١٩) .

* تأثر القرآن بالشعر الجاهلى وبالفكر اليونانى القديم (مؤكداً على ذلك فى أكثر من موضع) .

* تأثر القرآن بمزامير داودو (وإن كان قد أشار إلى الحاجة لأدلة أكثر دقة حتى يمكنه إثبات ذلك)

* احتواء القرآن لخط أسطورى ميثولوجى لفلسفة كورائية النزعة للتاريخ.

* الإشارة إلى أهمية العقل فى القرآن ، ثم كيف أن نفس هذه العقلانية تؤدى إلى نوع من التأليهية فى الإسلام . وكأن هناك تناقض بين البلاغ والنبؤة الغامضة ، أو التى يشوبها الغموض إذ تفرض على المؤمن الإيمان بالغيب وبما يتعدى إمكانيات العقل ! وإن «الله فى القرآن يمكنه أن يتخذ الملامح الفلسفية المطلقة ، ويمد يده لما يمكن أن نطلق عليه اليوم علم الكائن الدينى. وهو لايقل غوصا فى المجهول الذى لايتوقف حتى عنده التنزيل ، فهو لايترك مساحات من الظلام فحسب ، وإنما يؤكد أنه ينبع من هذه المناطق» . ثم ينتقد كيف أن الله يستخدم مختلف صيغ المخاطبة ، والمفرد ، والجمع مشيرا إلى نفسه وإن كثيراً من الآيات تنتهى بصفاته . ويحاول بكل هذا اللغو انتقاض التوحيد وإثبات عكسه .

* فظاعة صورة الله كما هى واردة فى القرآن ، وكيف أن «القرآن يشير بروعة مرعبة إلى الإرتعادات التى ستنتابكم أمام الحاكم الأعلى ، إنها رجفة تجعل جلودكم تقشعر لمجرد نطق إسمه» وبغض الطرف عن كل مافى هذه العبارة من مغالطة إلا أن الجدير بالذكر أن هذه هى المرة الوحيدة التى يوجه فيها حديثه ــ فى هذه المقدمة المشحونة ــ إلى القارئ مباشرة مما يؤكد سؤ نيته ومحاولته ترهيب القارئ من الله عز وجل كما هو موجود فى الإسلام وفى القرآن . وكيف أن هذا الرعب هو الذى يكمن فى أعماق المؤمن وكيف أنه يتعين عليه أن يعيشه بتناقضاته . ذلك «أن تلك الثنائية المزدوجة ، أو المتناقضة تؤدى إلى أنه يمكن عمل تحالف مع الله ، إذ إنه يستمتع بالمديح والصلوات، بل ويمكنه أن يشعر بالندم الرائع حيال المخطئ المعذب» وكيف أن المؤمن «ينساق لهذه القوى المرعبة الشافية الكامنة خلف كل هذه الصفات ومع ذلك تظل غير مفهومة بغرابة ، إلا أن الإنسان الضئيل يشعر بأنه قد أعفى عنه ، وأنه محبوب» ! (صفحة ٧٦٠)

أما النقاط التى تعرض لها غير دراسته اللغوية المزعومة ، أو التى تذرع بها ليبث سمومه وتشويهاته فى إطار يحاول التمسح بالأكاديمية واللغويات الحديثة من سميولوجيا وفينومنيولوجيا وسيمانطيقا وسميوطيقا ، فنورد منها على سبيل المثال أيضا :

* انتقاده لمعيارية القرآن وأنها أبعد ما تكون عن التقنين ، بمعنى «أن كل ما لم يتم تحريمه يعد مباحاً . أى أن ذلك لايعنى إلا أن الحياة الطبيعية هى مصدر القوانين والتصرف . إلا أن سرعان ما أدت التفاسير إلى أن يجد المؤمن نفسه يحاول أن يختلق لنفسه معيارا وفقا لكلام الله متخذا النبى كنموذج «والذى كانت حياته هى القرآن» (حديث لعائشة) وبذلك فكم تكون قد بعدنا عن الموانع والتقنين» (صفحة ٧٦٣) .

* إن القانون الإسلامى ، أو الفقه حاليا مكون من تراكمات قضائية غير واردة فى القرآن الذى لايتضمن إلا حوالى خمسمائة آية تتضمن الأحكام «وأن أقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لايتضمن أية قوانين بالمعنى المفهوم، لا فى العبارات ولا فى مفهومها» وأن القوانين ، أو الإصلاح القانونى الذى أجراه الإمبراطور جوستنيان القريب لامرئ القيس قد انتقل بفضل التجار ، وإن العرب قد تلقوا أصداءه العديدة ، أى أصداء القانون المدنى والتنظيم الكنسى ، وبالتالى فهو يرى «أن القرآن يبتعد عن عمل حصر لمجمل القوانين ليبرز تشييدا عاما للنماذج . فقد أهمل هنا شكلا من أشكال التشريع السائد آنذاك ، وذلك لايمكن أن يكون من قبيل المصادفة ، فهل تم التفكير بشكل كافى فى هذا التناقض ؟» .

أى أن السيد بيرك يرى أن القرآن قد استقى تشريعه من القوانين السائدة فى تلك الفترة دون الإشارة إلى ذلك !! وكل ما يحاول اختلاقة من تحريف هذا يرجع إلى قوله «إن النقاش الدائر حاليا لاستخراج تشريع من القرآن والسُنة يثير اليوم عددا من البلدان الإسلامية ، أو الطبقات الاجتماعية والنفسية داخل هذه البلدان أو غيرها ، أكثر عدداً ، حتى أن ما أصبحوا يطلقون عليهم «أصوليين» باتوا يمثلون حركة ، أو على الأقل مرجعا سياسيا . ونقطة تمركزهم هى «الشريعة» التى يفهمونها على أنها «التشريع الإسلامى» وكثير من المسلمين يرفعون اليوم هذا القانون ، أو مطلبه ، على أنه علامة للهوية الجماعية !! (صفحة ٧٦٥) .

وهنا ندرك الدور السياسى الذى يحاول السيد چاك بيرك أن يلعبه من خلال هذه الترجمة التحليلية المزعومة لينفى بها أن القرآن يتضمن أصول التشريع الحالى ..

* ثم ينتقد غموض تعبير الأحكام ـ على حد زعمه ـ «مما سمح للمفسرين القدماء بحريات من التصرف غير المقبولة من مذاهب أخرى» ..

* ويشير عبر ذلك إلى تناقض الشريعة ومنها يخرج بالهجوم على الجماعات الإسلامية ويطالب بفصل الدين عن السياسة . والطريف هنا أن الغرب يحاول اليوم إثبات أن المسيحية هى دين دنيا وآخرة ، وتتواكب الكنائس المحلية لتتضافر فى هذا التحريف الجديد لدين معروف أنه سماوى بحت ولا يتضمن أية آية تشريعية فالسيد المسيح لم يأت إلا من أجل خراف إسرائيل الضالة ليعيدها إلى استقامة التوحيد .. وفى نفس ذلك الوقت يحاول چاك بيرك توضيح أن القرآن لايتضمن تشريعاً ، ثم ينتقد الذين يهاجمون العلمانية

«ويعتبرونها هادمة للتجانس الذى يقيمه الإسلام بين الدين والفئات الأخرى للالتزام الاجتماعى» .. ثم ينتقد سفسطة الاستخدام الذى يؤدى إلى تحريف العقيدة ، أو النص القرآنى ، وسوء فهم تعبير «دين ودنيا» ثم يضيف : «إن المرء ليدهش كيف يمكن اتخاذ هذه العبارة الثنائية كشعار من أعداء العلمنة؟! ثم ينصح رجال الدين أن يظلوا «ربانيين» ويبتعدوا عن الدنيا وشئونها !! وبذلك يأتى السيد بيرك بإسلام جديد ربانى ، لا علاقة له بشئون الدنيا ..

* إثارة قضية فتنة خلق القرآن من جديد .. وأنه يرى أن القرآن كلماته عربية أو حتى قريشية بينما لغته قرآنية ..

* زعمه بتحريف القرآن للهوية الأساسية بالطريقة التى يتناول بها الأساطير الإنجيلية .. «فسواء أكان الأمر يتعلق بإبراهيم ، أو نوح ، أو يونس ، أو موسى فهو يحرف الأساطير إلى أنواع من الحوار المشبوب بعلم النفس الفارقى بالطرافة ، والنبرة تحاول أن تبدو حكائية ودرامية» . أى أن القرآن يحاول التحريف إلا أن أمره مكشوف للسيد الجليل ..

* إتهام المفسرين بالغاء بعض الآيات أن كانت تخرج عن قبضتهم ، أو تحريفهم لمعناها .

* أن النبى (ﷺ) كان يختار مما يوحى به إليه .. فالقرآن يغص بعناصر الطبيعة .. «ولنتخيل النبى أمام أحد المناظر الطبيعية فى نجد : الواحة الوارفة المنبثقة من الصحراء التى لاتعرف الخواء . إن التنويعة الكونية يمكنها أن تثير فى ذاكرته الأعرابية إحدى تلك الصور التى تراودها والمتعلقة بكلمات الأشعار المنشدة إلا أنه يكبح هذه الكلمات لكيلا يحتفظ منها إلا برمز رائع هو : التنزيل المنجم ، أو التنجيم» . ومن الواضح أن النبى (ﷺ) فى نظره ينتقى مما يوحى إليه ويستبعد ما يمكنه أن يكشف شخصه .

* محاولته لإيجاد توازى بين الفكر اليونانى ومفهوم الله فى القرآن .

وبغض الطرف عن أن كل هذه الموضوعات وغيرها كثير قد قتلت بحثاً وحسمها جمهرة من العلماء ، فليس هذا هو جوهر القضية هنا .. وإنما لابد من الإشارة إلى إصراره الغريب ، منذ بداية المقدمة حتى نهايتها ، على تأكيد تأثر القرآن بالفكر اليونانى بأكثر من وسيلة ، سواء عن طريق أصداء فلاسفة الماضى وخاصة بارمنيدس (٥١٥ ـ ٤٤٠ ق م) الذى أخذ عنه الرسول صلوات الله عليه سورة التوحيد كما يزعم ، أو أصداء القانون المدنى وتقنين الكنيسة السورية . أى أنه عبارة عن تجميع من التراث التاريخى دون أن يقولها صريحة واضحة . ثم يذهب فى نهاية تحليله إلى عمل نوع من التوازى بين الفكر اليونانى والإسلام ليعلن قائلا : «أن العصرية الدينية فى الإسلام تتلاقى فى الطبيعة حيث تعكس إعادة بناء نفسها . وهكذا فهى تعيد إحياء معطيات قرآنية لاجدال فيها . ومع ذلك ، أليس ذلك هو ما فعله الإسلام منذ البداية ؟ لقد فعله بأن أخذ على عاتقه جزءاً من الميراث الجاهلى ، بأن تقلد جزءاً من ميراث اليونانيين ، بعد أن فرض على كل منهما تعديلات استعلائية صارمة» (صفحة ٧٩٢) ـ يالها من أمانة علمية صافية!! .

ثم يختتم هذه المقدمة قائلا : «إن مشكلة الإسلام اليوم هى إذن ذلك الانفصال الذى يمكنه أن يتفاقم بين مواقف العقيدة ومسيرة العالم الفعلية ، بل مسيرة العالم الإسلامى نفسه . فالإسلام يبحث عن ملجأ باتجاهه إلى الأصول . إلا أن عدم إمكانية إخضاعها إلى النقد التاريخى ونقلها إلى الحاضر، فإن ذلك لايعيد لها قوتها الأصلية إذ أن «الذكر» الحقيقى هو الذى يحول الذكرى إلى مستقبل . وهى عملية خلاّقة ، تدمج العصرية بالأصالة وتبدو لاغنى عنها فى مواجهة هذه التجديدات التى يجب على كل نظام فى العالم الحالى أن يقترح حلولاً ممكنة» .

ترى أية حلول وأية تجديدات وأى نظام ؟ ويسارع چاك بيرك بالإجابة فى الفقرة التالية قائلاً : «الثورة التقنية والعلمية التى تتعدى بالفعل مراحل لم تصل إليها من قبل ؛ انعكاسات هذه الثورة المتزايدة فى التصرفات الفردية والجماعية ، التوحيد المتزايد للكرة الأرضية والتحديات الناجمة عنه ، بالإضافة إلى التصاعد الضمنى للنوعيات ، عناء العلماء القدامى ومتطلبات جماهير العالم الثالث فى مجال الرفاهية ، وحقوق الإنسان والحريات» ..

والمعنى الكامن هنا أن الإسلام لا يواكب التقنية ، والعلمية ، وتحديات العصر بعامة ، و «التوحيد المتزايد للكرة الأرضية» أو «التحديات الناجمة عنه» مقصود به فرض العولمة والنظام العالمى الجديد ، وقد صرح بذلك بكل وضوح فى حوار نشر فى جريدة الحياة فى ١٩٩٦/٢/٥م ، حيث قال : «ظهرت ترجمتى وسط تيار شنيع ، تيار صراع وحرب صليبية جديدة ، نعم للأسف الشديد ، لأن العرب والإسلام عموما يشكلون العائق الوحيد أمام إمبراطورية اليوم وأمام استقطاب اليوم تحت سيطرة أمريكا . فالسياسة الأمريكية وحلفاؤها وجدوا أمامهم الصعوبة الوحيدة أو شبه الوحيدة هى فلسطين وما حولها عند العرب ، عند الاسلام وحتى عند البعض القليل فى أوروبا ... وأنتم تفهمون ما اشرت اليه» ! وذلك إضافة إلى عملية «إعادة تنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما» تلك الحركة التى يتزعمها البابا يوحنا بولس الثانى ويعتبرها معركته الكبرى .. وبالتالى فالإسلام لا مكان له فى هذه الحرب الضارية ، والإسلام المعنى هنا هو القرآن الذى قام السيد بيرك بترجمة معانيه وليس المقصود بكلماته المسلمون المعاصرون وإلا لكان لكلامه بعض المعنى ...

ثم يختتم چاك بيرك مقدمته المشحونة بالفقرة التالية : «وهنا يؤدى تساؤلنا إلى تساؤل أكبر : هل الديانات الإبراهيمية قادرة على تحقيق مجهود التأقلم

فى المستقبل، ذلك المجهود الذى يقع على عاتقها جميعا ؟ ترى وبأية طريقة؟ بأية شروط؟ وبأى ثمن ؟ فيما يتعلق بالإسلام ، حيال هذه المهام ، فإن الصفحات السابقة تجعلنا نعتقد أنه مازال أقل من الإمكانيات التى يتيحها له نصه الأساسى» (صفحة ٧٩٣) .

وبغض النظر عن محاولته المتعسفة للجمع بين الإسلام والمسيحية واليهودية فى صعيد واحد ، فها هو يقلل من بينها شأن الإسلام وحده ! أليس هو «مازال أقل من الإمكانيات التى يتيحها له نصه الأساسى» ؟ .. وهل عز عليه أن تكون آخر كلمة مكتوبة له هى «القرآن» حيث هو «النص الأساسى» الذى يشير إليه ؟! ثم بأى حق يصدر حكمه بإدانة الإسلام بعد أن قام بتشويه صورته ؟! ألم يكن من الإنصاف أن يقصر نقده على المسلمين إذا ما كانوا مقصرين ــ فى نظره ــ فى تعاليم دينهم ونصوصه ؟! .

ترى هل تتفق هذه الصورة ، أو هذا الرأى مع حقيقة الإسلام ، أو حتى مع الإعجاب الظاهرى الذى لايكف عن التشدق به فى أحاديثه الصحفية ؟! ترى هل يتفق هذا الرأى و «الاطمئنان الرُّوحى الذى كان يسعى إليه» ووجده فى القرآن (على حد قوله لمجلة الجهاد) ؟ أم أن ما جاء فى هذه المقدمة ، التى تقع فى اثنين وثمانين صفحة ، والتى لم نشر إلا إلى شذرات منها ، عبارة عن محاولة مغرضة للنيل من القرآن بزعم العصرية ، والحداثة ، والسفسطة اللغوية ليتمشى مع «متطلبات العصر» ؟ .

وكلنا نعلم وندرك تماما معنى ومغزى ذلك المطلب الذى يصر عليه الغرب حاليا ، والذى عبر عنه جان كلود بارو فى كتابه عن «الإسلام والعصر

الحديث» الذى صدر عام ١٩٩١م ، إذ قالها بصراحة أكثر وضوحا : «لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم عصرية جديدة وإلا على الإسلام أن يختفى» !! وهو نفس المطلب الذى دارت حوله العديد من البحوث فى مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين ، الذى انعقد عام ١٩٧٨م ، والذى تأتى ترجمة چاك بيرك مواكبة لمطلبه . وهو ما يدرج أيضا ضمن تلك العمليات التبشيرية التى تشير إليها الصحف باقتضاب ، وإلى تلك المصاحف المحرفة التى يروجونها..

أما فيما يتعلق بأسلوب چاك بيرك وبمستوى ترجمته فلا يسع المجال هنا لتناولها بالكامل وإلا لاحتاجت إلى مجلد بأسره .. إلا أن ما تتضمنه من أخطاء لايمكن أن يصدر عمن فى مثل مكانته المخضرمة أن يقع فيها إلا لمرض فى نفسه .. لذلك لايسعنا إلا تقديم بعد النماذج للتدليل على سوء نيته المبيتة التى لاتتمشى مع كل ما زعمه من دقة وأمانة .. ولنبدأ الفهرس ..

** بعض نماذج من ترجمة **

لم نفهم حكمة السيد بيرك فى عدم اتباع منهج علمى واحد : فهناك عناوين سور لم يترجمها وإنما دوّن نطقها بالأحرف اللاتينية مثل سورة «الحجر» فكتبها Al-Hijr وسورة «الأحقاف» Al-Ahqáf ألم يستطيع أن يجد لهما معنى أو تعليلا رغم كل التفاسير التى اطلع عليها ؟ ولاأعتقد أنها صعبة الترجمة . خاصة وأنه استعان بأولى الآيات لترجمة عناوين أخرى ..

وقد استوقفتنا بعض الترجمات أكثر مثال سورة «الإسراء» فلم يكتف بترجمة معناها الذى حرّفه إلى le trajet nocturne أى «المسيرة الليلية» وإنما أضاف بعده عنوانا آخر هو «أو أبناء إسرائيل» وهو غير وارد فى المصاحف المتداولة . ونفس الشئ مع سورة «غافر» ترجمها إلى ما معناه «المؤمن أو المتسامح» le Croyant ou l'indulgent وغيرها كثير .. أما سورة «النصر» فقد ترجمها إلى «النجدة المنتصرة» ، 1le secours Victorieux.

وهنا لابد من وقفة فكلنا نعرف أن كلمة «النصر» معنها بالفرنسية vic-toire وبالإنجليزية victory ، إلا أن جاك بيرك قد أصر على عدم استخدام هذا المعنى . فكلمة النصر التى تردفى القرآن أحد عشر مرة ، وتصل تصريفاتها اللغوية إلى قرابة المائة مرة ، لم يترجمها مرة واحدة بمعناها الحقيقى . ففى سورة «البقرة» مثلا نرى «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله» (٢١٤) ترجمها قائلا :

"l'Envoyé de Dieu et ses compagnons dans la foi s'écrierènt: à quand le secours de Dieu" !

ومعنى ترجمته : رسول الله ورفاقه فى الإيمان صاحوا : متى نجدة الله !

وفى نفس الآية نرى : «إن نصر الله قريب» ترجمه إلى :

"le secours de Dieu est toujours proche: !.

ومعناها : أن نجدة الله دائما قريبة .

ولايسع المجال هنا لتتبع ترجمة هذه الكلمة فى كافة أشكالها ، إلا أنه ما من مرة إلا وترجمها بكلمة «النجدة» وأحيانا «المساعدة» أو ما شابه ذلك .. وكأنه يأبى كتابة النصر للإسلام أو أن الإسلام قد انتصر ! .

وسورة «الفتح» التى يتضمن معناها الجلى دلالة النصر قد ترجمها بتعبير Tout s'ouvre ! أى ما معناه : «أن كل شئ ينفتح» !! وهنا بادر جاك بيرك بوضع هامش يبرر فيه اختياره المغرض قائلا : «أن فتح اسم فعل يفتح ويقال عن الانفتاح الذى تمنحه بعض الانتصارات للمنتصر على المكان ومعناها المجازى هو دخول فى المفتوح وهو مانراه المعنى الأوضح بسبب الآية الثانية والثالثة» (٥٥٤) !! .

ولايسعنا إلا أن نكتب أول آية من سورة «الفتح» كنموذج على ثقل ومغالطة ترجمته فالآية تقول «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» فترجمها قائلا :

"C' est bien Nous qui pour toi ouvrons l'ouverture éclatante" !!

وتعنى ترجمته : «أنه نحن الذين لك نفتح الانتفاح المدوّى» ولستُ بحاجة للحديث عن ركاكة هذه الترجمة بغض النظر عن تحريف المعنى ..

أما سورة «الروم فترجمها باسم العاصمة «روما» إذ كتب Rome !! ومن الغريب أن يضع هنا أيضا هامشا يقول فيه «نقول روما لأسباب ترخيم الصوت»

أو التطريب Euphonie حيث كان لابد من وضع كلمة «البيزنطيون» بالطبع (صفحة ٤٣١) باللمغالطة السافرة ! فمتى كانت الترجمة ، أو اختيار الكلمات يتم من باب الترخيم والتطريب بعيدا عن المعنى ؟! .

إن أبجدية أصول الترجمة تعنى الأمانة فى نقل المعنى بأوضح ما يمكن غير أنه لو كان قد كتب كلمة «البيزنطيون» لنقل ذهن القارئ إلى عصر الفتوحات الإسلامية ، وهو ما يحاول تحاشيه ، أو التضليل عليه طيلة الوقت .

وسورة «المُلْك» ترجمها بكلمة la Royauté وتعنى «المَلَكيّة» ! علما بأن كلمة المُلك ومنها ملكوت الله موجودة فى الفرنسية ومستخدمة فى الإنجيل بعهديه .. وسورة «التكاثر» ترجمها إلى ما معناه «التنافس عن طريق العدد : Rivaliser par le nombre ، أية منافسة وأى عدد ؟! .

ولايتسع المجال هنا لاستعراض الفهرس بأكمله ولا كل ما تضمنه من أخطاء لانعتقد أنها قد صدرت بصورة عفوية عمن فى مثل مكانته العلمية .. غير أن إصراره على اختيار بعض العبارات بعينها يزيد من تأكيد سوء نيته المتعمدة . فلم يستخدم أبدا كلمة مسجد فى الترجمة ، ولها ما يقابلها فى الفرنسية وهى Mosquée ، بل إن المعروف لغويا وما يكتب فى القواميس الغربية أنها كلمة «من أصل عربى» ، وراح يكتب مكانها sanctuaire وأحيانا كلمة Oratoire ! والمعروف أن كلمة sanctuaire مشتقة من اللاتينية وتعنى «جزء من الكنيسة حول المذبح حيث تتم فيه المراسم الطقسية» وقد تعنى «مكانا مقدسا بصفة عامة» وكلمة Oratoire مشتقة من اللاتينية أيضا ومعنها «كنيسة صغيرة من أجل استخدام جماعة معينة» . فبأى حق يترجم «المسجد الحرام» (٢٨/٩) بتعبير Sanctuaire consacré ؟.

وعندما ترجم سورة «الإسراء» : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» (١/١٧) كتب يقول :

"O transcendance de celui qui fit aller de nuit, en un instant de la nuit, son adorateur de l'oratoire consacré à l'oratoire ultime كما أن كلمة ultime معناها «النهائى» أو «الأخير» فهل تعبر عن المسجد الأقصى والمقصود به المسجد القائم فى القدس ؟ أم أنه أبى أن يذكر كلمة المقدس لكى لايربط بالإسلام منذ ظهوره ؟! ثم ما معنى أن يضيف من عنده بعد كلمة «ليلا» عبارة "en un instant de la nuit" وتعنى «فى لحظة من الليل» وهو استطراد غير موجود فى الآية ولامبرر له .

كما أنه لايلتزم حتى باختيار واحد من هذه الاختيارات المغرضة ، ولا يستقر عليه . فالمسجد الحرام يكتب تارة le sanctuaire consacré (٢/١٤٤) وتارة أخرى يكتب l'oratoire sacré (٥/٢) . ومن أبجدية تعاليم الترجمة الالتزام بالتعبير الواحد المقابل للفظ المعين وعدم تبديله حتى لايلتبس الأمر على القارئ .. ونفس الشئ بالنسة لكلمة «الحرام» (بمعنى القدس) فتارة يكتبها sacré وتارة أخرى يكتبها consacré ! .

أما عن عدم الدقة فى الترجمة فلا شك فى أن الخلفية القائمة على المغالطة والتجريح أحيانا هى السائدة . فمثلما استبعد كلمة «المسجد» وخاصة «المسجد الأقصى» وغيرها فعادة ما نراه يستبعد ما يمت إلى العقيدة ومراسمها أو يبدله . فتعبير «شعائر الله» (٢/٥) ترجمه إلى :

"les repérages de Dieu" وهذه الكلمة تعنى «وضع علامات» بغية تعليم الشئ (من العلامة) . ولاتحمل المعنى الذى يعكسه تعبير كلمة rites (شعائر) المرتبط بالدين والذى كان يتعين عليه استخدامه .

وعلى سبيل المثال أيضا في عدم الدقة ؛ نورد ترجمة لأحدى آيات سورة «يوسف» : «فلما رأى قميصه قُدَّ من دبر» (٢٨/١٣) ترجمه قائلا :

"sa chemise était trouée par derrière"

وتعنى ترجمته أن قميصه كان مثقوبا من الخلف !! علما بأنه قد ترجمها فى الآية / رقم ٢٥ : بأنها مزقت قميصه من الخلف : «واستبقا الباب وقدّت قميصه من دبر» كتبها :.

"elle lui déchira la chemise par derrière"

فلماذا التغيير والنص واحد ؟ ترى هل چاك بيرك الضالع فى اللغة العربية ـ على حد قوله أيضا ـ لايعرف أن : قدّ الثوب يعنى شقه طولا ، وأن كلمة trouer التى استخدمها معناها : يثقب ، أو يخرق ؟! وأن الفرق لشديد الوضوح والاختلاف بين شق الثوب طولا وبين خرقه ؟! .

أما إصراره على ترجمة كلمة «الألباب» بكلمة «النخاع» فيفوق أى تعليق .. ولو سلمنا جدلا بأن معنى Moelle (نخاع) المجازى فى اللغة الفرنسية يعنى «أهم ما فى الشئ فإن وقعها فى الترجمة يثير السخرية لدى القارئ ، ذلك لأن معناها الحرفى ، أو المباشر ـ أى النخاع ـ هو الأكثر شيوعا. ومع مراعاة أن كلمة الألباب ترد ستة عشر مرة فى القرآن ، وأنه لم يترجمها ولو مرة واحدة بمعناها المقصود ، أو المنطقى والذى يعنى «ذوى العقول والأفهام» لأدركنا مدى تجاوزاته .. وذلك على الرغم من وجود العديد من التعبيرات والمترادفات التى تشير إلى الألباب من غير لفظة نخاع التى اختارها !

وليت ليه ، أو نخاعه قد أدرك قدسية وعدالله بين المسلمين حتى لا يترجم آية :إن الله لايخلف الميعاد» (٩/٣) على النحو التالى :

"Dieu ne manque pas au rendez-vous"

وتعنى عبارته «ان الله لايتخلف عن المواعيد التى يرتبط بها»

ترى هل يمكن أن يصل الاستهزاء من عالم هو عضو مجمع اللغة العربية بمصر كى يترجم لفظة «الميعاد» والتى تعنى وعد الله ، أو حتى وعيده بكلمة rendez-rous ؟ (راند ڤو) بغض الطرف عن معناها الشعبى السائد .. ومن البديهى هنا أن المعنى المقصود بالميعاد هو الوعد . وكان لزاماً عليه أن يكتب :

"Dien ne manque pas à sa promesse"

ففى المرات الست التى وردت فيه هذه الكلمة فى القرآن ـ ولانتحدث عن تنويعاتها ـ ترجمها أربع مرات بتعبير (راند ڤو) ، ومرة بمعنى اتفاق pacte ومرة واحدة بمعناها الصحيح ، وذلك فى سورة «الزمر» : «لايخلف الله الميعاد» (٣٩/٢٠) إذا كتب "Dieu ne saurait faillir à sa pro-messe" أى أنه يعرف معنى الكلمة لكنه يتعمد عدم استخدامها !

كما أنه أحيانا يبدل من نهايات الآيات مثلما فعل فى سورة «آل عمران» على سبيل المثال . فالآية الثالثة والتى تنتهى بقوله تعالى : «وأنزل التوراة والإنجيل» قد أنهاها فى منتصف الآية الرابعة عند قوله «وأنزل الفرقان» وهو مالم نره عند غيره ممن ترجموا معانى القرآن .

ولنأخذ نموذجا أطول من سورة البقرة .

٢ : «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين»

voilà l'écrit que nul doute n'entache, en guidance à ceux qui veulent se prémunir.

وترجمته تعنى :

ها هو الكتاب الذى لايشوبه (أو لايلوثه) شئ : كإرشاد للذين يبغون أن يتزودوا

بغض الطرف عن عدم دقة الترجمة : فهو استبعد اليقين الذى فى صدق هذا الكتاب إذ أن الشائبة (أو التلوث) يمكن أن يكون نتيجة لأى شئ ؛ والذين «يبغون التزود» لاتعنى «المتقين» .

ولعلمه أن الترجمة غير صائبة ، فقد وضع هامشا يقول فيه أنه يمكنه ترجمة هذه الجملة بعدة طرق وفقا لما يتم اختياره من صفات ، وأنه قد اختار أكثر التفاسير شيوعا . ولعله أراد الإشارة إلى الطرق المتعددة لقراءة هذه الآية وفى كل الأحوال فإن ذلك لايعفيه من عدم صواب الترجمة .

٣ : «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» :

Ils croient au mystère, accomplissent la prière, font dépense sur notre attribution.

وترجمته تعنى :

أنهم يؤمنون بالسر الخفى (أو بالغموض) ، يقيمون الصلاة ، ويصرفون من منحنا (أو من مخصصنا) .

وكلمه mystère تعنى الغموض ، وفى السياق الدينى تعنى سر الكنيسة المتعلق بالسيد المسيح والثالوث الذى ابتدعوه . كما أنها تعنى مسرحية دينية (مسيحية) فى العصور الوسطى .

ولتأكده من سوء اختياره يبادر بوضع هامش يقول فيه : إن كلمة mystère غير مرضية تماما لكلمة «الغيب» ثم يغرق القارئ فى متاهات من التبرير .

كما أن الصياغة اللغوية غير سليمة . إذ يقول فيما يتعلق ببداية الآية «إنهم يؤمنون» وهى صياغة تنسب الإيمان إلى تلك الفئة عامة ولاتعنى التخصيص لفئة بعينها ، التى تؤمن بالغيب الخ .

وكان بإمكانه أن يقول ببساطة :

Ceux qui croient à l'Au-delà, accomplissent la prière, et dépensent de ce que Nous leur avons octroyé.

٤ : «والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» كتب يقول :

Ils croient, à la descente sur toi opérée, à celle avant toi opérée, ils ont certitude, eux, de la vie dernière.

وترجمته تعنى :

أنهم يؤمنون بالنزول الذى تم عليك ، وبالنزول الذى تم من قبلك ؛ لديهم يقين ، هم ، بالحياة الآخرة .

وبغض الطرف عن ركاكة الترجمة ، فإن كلمة «النزول» هنا تعبر عن حركة النزول المقابلة للصعود ، أى أنها لاتدل مطلقاعلى التنزيل أو على تنزيل القرآن ، أو الرسالة وهو ما تحاشى ترجمته حتى لايوضح أن الإيمان بالغيب من أسس الإسلام مثلما هو من أسس العقيدة المسيحية الخالصة . وكان بإمكانه أن يترجم قائلا :

et ceux qui croient en ce qui t'a été révélé, en ce qui a été révélé avant toi, et qui croient foncièrement en la vie future.

٥ : «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» :

ceux-là suivent la guidance venue de leur seigneur : ce sont eux les triomphants.

وترجمته تعنى :

هؤلاء يتبعون الإرشاد الذى أتاهم من ربهم : أنهم هم المنتصرون :

وترجمة الهدى بالإرشاد غير سليمة ، وكذلك ترجمة المفلحون بالمنتصرين . وفى الهامش التفسيرى الذى كتبه لهذه الآية يقول : «يلاحظ الوضوح القاطع لهذا الـ catéchisme . والذى لايقلل من صعوبة الترجمة» وكلمة catéchisme هذه تعنى كتاب التفسير الدين المسيحى!

وكان بوسعه أن يقول الوضوح القاطع لهذه الآية» أو «لهذا النص القرآنى» بدلا من إقحام مصطلحات مسيحية لا ضرورة لها فى هذا السياق خاصة وأن القرآن هو النص المنّزل وليس بكتاب تفسير دينى ، ثم يقوم بتبرير عدم استخدامه لتعبير التنزيل ...

كما أن قوله تعبير «هم المنتصرون» يشير أو يعود على أولئك الذين يؤمنون بالسر الكنسى وهو مالا يتفق ومعنى الاية بغض الطرف عن أنها لا تعنى «المفلحون» .

٨ : «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» :

Il s'en trouve parmi les gens pour dire : Nous croyons en Dieu et au jour dernier sans être pour cela des croyants.

وتعنى ترجمته :

يوجد من بين الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وليسوا من أجل ذلك بمؤمنين .

وإن أمكن نقل هذه الترجمة جدلا ، رغم ما بها من تطويل يفقد تركيز النص أو إيجازه ، إلا أنه وضع لهذه الآية هامشا يقول فيه :

«هنا يبدأ ذلك العرض السيكولوجي الممتد ، والذى انحصر فى الفترة المكية فى فئة واحدة من المعارضين «هم الوثنيون» ومن الواضح إن تعبير الآية «وماهم بمؤمنين» يشمل كافة الفئات العقائدية . إلا أن كتابته لهذا الهامش الذى يحصر عدم الإيمان فى الوثنيين فحسب لامعنى له إلا محاولته نزع صفة عدم الإيمان عن المسيحيين واليهود وقصرها على الوثنيين . وهو ما يتعارض مع الآية ويكشف عن نيته المغرضة فى الترجمة . فالكلمة عامة لا تحتاج لهذا التخصيص الذى كان وسيلة للزج بالهامش الذى أضافه .

١٠ : «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» .

Il y avait une maladie dans leur cœur : Dieu les grandit en maladie; il leur revient un châtiment douloureux, à la mesure de leur mensonge.

وترجمته تعنى :

كان هناك مرض فى قلبهم : فأكبرهم الله فى المرض ؛ وسيعود عليهم عذاب أليم على قدر (أو بمقياس) كذبهم .

ومن الواضح هنا أن المرض ليس مرضا عضويا وإنما يعنى الشك فى الإسلام ، أو النفاق وما إليها . فما كان له أن يترجمها حرفيا ، وإنما بالمعنى الواضح والمقصود . كما أن العذاب الذى سينالونه ليس بقدر ، أو بمقياس ما كانوا يكذبونه وإنما بسبب ما كانوا يكذبوه . وكان يتعين عليه أن يترجم قائلا:

Ils ont une malveillance dans leurs ceurs, c'oest pourquoi Allah leur Accrût une malveillance, et ils auront un douloureux châtiment en raison de ce qu' ils mentaient.

١١ : «وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون» .

Si on leur dit : "gardez-vous de faire dégât sur la terre", ils répondent : "meilleure nous la rendons".

وترجمته تعنى :

اذا قيل لهم تحاشوا عمل خسائر على الأرض ، قالوا أفضل نجعلها .

ومن المؤكد أن كلمة الفساد لاتعنى الخسائر إذ إن المعنى الأساسى أو البديهى للفساد الفساد أخلاقى أو معنوى ، أما الخسائر فمادية . وقوله «أفضل نجعلها» ليس ترجمة أمينة لقوله تعالى «إنما نحن مصلحون» . إن المترجم يلجأ إلى كلمات مجازية حينما تفتقر اللغة التى يترجم إليها إلى المصطلح المقابل . لكن ما القول فى عدم غياب المصطلح ؟ الأمر الذى يوضح مدى

فهمه أو إحساسه باللغة العربية لكى لانشير الى سوء نيته ، أو استخفافه فكان عليه أن يقول مثلا :

Et si on leur dit : "Ne corrompez pas de par la terre, ils disent : "Mais nous sommes des réformateurs.!"

١٢ : «وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون» فكتب قائلا :

Si on leur dit : "croyez comme croient les vrais hommes" ils répondent : Nous croirions, nous, comme croient les sots?" sauf qu'ils sont bien , eux, les sots, mais ils ne le savent.

وترجمته تعنى :

إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الرجال الحقيقيون أجابوا أنؤمن نحن كما يؤمن الحمقى (أو البلهاء) ؟ إلا أنهم هم الحمقى لكنهم لايعرفون .

وكلمة «السفهاء» فى أبسط القواميس والمعاجم كما فى كتب التفاسير تعنى «الجهلاء» فكيف يترجمها بالحمقى ، أو بالبلهاء ؟ إن هذه الإشارة فى الآية تقع على المسلمين الذين آمنوا والذين هم «جهلاء» فى نظر المخادعين . إلا أن السيد بيرك قد آثر أن يطلق عليهم حمقى ، أو بلهاء !

ولو كان أمينا يتوخى الدقة كما يزعم ، كما يجب عليه أن يضع كلمة ignorant وليس sot التى لاتكشف إلا عن أعماقه وموقفه .

١٦ : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» .

ceux qui auront acheté l'errance contre la guidance eh bien! leur négoce n'aura pas gagné ils ne se seront pas bien guidés.

وتعنى ترجمته :

أن الذين اشتروا الترحال (أو التجوال أو التسكع) بالإرشاد ، إذن ، فإن تجارتهم الكبيرة لم تربح؛ لأنهم لم يسترشدوا أنفسهم جيدا .

إن اختياره لكلمة errance التى لاتشير إلى الضلال أبدا وإصراره على وضع كلمة إرشاد guidance بدلا من الهدى ، لامعنى له إلا إصراره على استبعاد المعنى الدينى الذى تتضمنه الآية .. وكان عليه أن يختار ما بين كلمة égarrement أو désorientation وإن كانت هناك كلمة أكثر دقة للمعنى المطلوب وهى : fourvoiement . فاللغة الفرنسية لاتفتقر بهذا الشكل إلى المفردات الصحيحة !

وهاهو يضع هامشا كعادته للتبرير ، راح يفسر فيه لماذا اختار كلمة «إرشاد» لكلمة «الهدى» وكل ماجاء به أكثر من تبرير فيما لا سبيل لتبريره . وكان بوسعه أن يقول ببساطة :

Ceux-ci sont ceux qui ont troqué le fourvoiement contre la Direction infaillible : leur troc est sans profit, et ils n'étaient pas guidés.

١٨ : «صم بكم عمى فهم لايرجعون» .

Sourds, muets, aveugles, perdus sans retour.

وتعنى ترجمته :

صم بكم عمى ، ضائعون بلا عودة !

وبخلاف عدم الدقة فى الترجمة ، فإن قوله «ضائعون بلا عودة» يتضمن حكما قاطعا بالضياع ، فى حين تعبير الآية يشير إلى أنهم لا يرجعون إلى الهداية التى كانوا عليها ، أو لا يرجعون عن قرارهم هذا بعد . وكان بإمكانه أن يكتب قائلا :

C'est pourquoi ils n'en reviennent pas .

١٩ : «أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذنهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين» :

Ou bien c'est comme une nuée d'averse dans le ciel, chargée de ténèbres, de tonnerre et d'éclairs; ils s'enfoncent les doigts dans les oreilles à chaque coup de tonnerre pour échapper à la mort. Dieu encercle les dénégateurs.

وتعنى ترجمته :

أو أنه كسحابة ممطرة فى السماء مثقلة بالظلمات والرعد والبرق ؛ إنهم يدخلون أصابعهم فى آذانهم مع كل طلقة رعد ليفلتوا من الموت . إن الله يحيط بالمنكرين (أو بالنافين) .

وأول ما يلفت النظر فى هذا السياق ، بخلاف عدم الدقة فى الترجمة والتطويل الذى لاداعى له ، فالصيب هو المطر وليس «السحاب الممطر فى السماء» ، أنه يبدأ الجملة ببنائها للمجهول ، فى حين أن المقصود بالتشبيه هنا هم «الضالون» .. ثم نراه يستعمل تعبير يدخلون أصابعهم فى آذانهم مع كل طلقة رعد بدلا من «يجعلون أصابعهم فى آذانهم من

الصواعق» . والرعد لايعنى الصواعق . وكلمة صاعقة موجودة بالفرنسية وتعنى foudre .

أما استخدامه تعبير dénégateurs وتعنى المنكرين وهى مشتقة من النفى أو الإنكار ، فلا يدل مطلقا على المعنى المقصود بكلمة كافرين . وهناك ما يقابلها بالفرنسية وهى mécréants .

إلا أن هذا الاختيار يتمشى مع ما قاله فى التمهيد ، أو فى تلك الصفات الخمس الأولى ، والتى لاعنوان لها ، حيث راح يبين فيها اختياره لترجمة كلمة «كافر» إلى ما معناه «يخبىء» ؛ مثال «يخبىء الحقيقة ، أو فعل الخير ، أو صفة حميدة إلخ» .. لأن الكلمات المشتقة من فعل «أنكر» تعبير بسهولة أكثر من هذا المعنى فى لغتنا ، إلى جانب ميزة هذه الكلمة فهى تتضمن فى اشتقاقاتها الفعل ، والإسم ، والصفة . ولقد جازفت باستخدام هذه الكلمات الجديدة «إنكار» والتى أقرها قاموس Littré وقاموس Robert ، ذلك الذى اقرها أكثر من كلمات «فرنجليزية» أخرى مثال sur-in أو سوبرمان Superman» (صفحة ١٥)

ولانفهم أى معنى لهذا الهامش الذى يتوه فيه القارىء ، والذى لايدل إلا على محاولة تبرير مالاتبرير له ، أو محاولة تبرير سوء نية مبيتة منذ البداية ، بل إنه سوء نية مع سبق الإصرار .

ذلك أن كلمة «كفر» معناها العام الشائع والأساسى هو «من لم يؤمن بالوحدانية ، أو النبوة ، أو الشريعة ، أو بثلاثتها» وهو المعنى المقصود فى آيات القرآن .

أما المعنى الذى اختاره السيد بيرك وهو : «يخبىء» ، وهو غير المعنى المقصود هنا ، كما أنه لابد وأن يكون مصحوبا بكلمة «الإيمان» فى السياق

الدينى أى أن الشخص قد خبأ إيمانه . وإن كانت كلمة dénégateur التى اختارها تعنى ـ كما أوضحنا ـ المُنْكِرْ ، أو النافى .

فبأى حق يستبيح السيد بيرك لنفسه أن يترك المعنى الأصلى ، أو المقصود لغويا ليستعين بمعنى مجازى أيا كانت تبريراته ومسمياته ، إن لم يكن ليستبعد صفة «الكفر» عن بنى جلدته ؟! .

ولايفوتنا التنويه إلى أن كلمة «كافر» لها مايقابلها بالفرنسية ، وهو mécréant ، وحتى إن كان الفعل غير موجود جدلا ، فكان بمقدوره استحداثه وهو : mécroire وكذلك الاسم وهو mécréance !! .

وكان بمقدوره أن يترجم قائلا مثلا :

Ou comme celui d'une averse du ciel, chargée de ténèbres, de tonnerres et d'éclaires; ils mettent leurs doigts dans leurs oreilles à cause des foudres prenant garde de la mort; mais Allah Domine les mécréants de tout côté.

٢٠ : «يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير» ترجمها قائلاً :

L'éclair manque leur emporter la vue; chaque fois qu'il les éclaire, ils marchent dedans; quand sur eux revienent les ténèbres, ils se figent; si Dieu voulait, Il leur emporterait la vue.- Dieu est ommipotent.

وتعنى ترجمته :

كاد البرق يخطف بصرهم ؛ كلما أضاء لهم مشوا بداخله ؛ وعندما تعود عليهم الظلمات يتصلبون ؛ ولو شاء الله لأخذ بصرهم ، إن الله على كل شئ قدير .

وأول ما نشير إليه هو أن سيادته قد نسى ترجمة «بسمعهم» ، ثم ركاكة الترجمة الحرفية لتعبير «مشوا فيه» ؛ إذ كتب قائلا «مشوا بداخله» ، فى حين أن المعنى الواضح والمقصود هنا هو أنهم مشوا على ضوء البرق ، وليس بداخله! وكذلك كلمة : «قاموا» فقد ترجمها بما معناه تجمدوا ، أو تصلبوا ، فى حين أن معناها التوقف ، أو الوقوف حيرة وكان بوسعه أن يترجمها قائلا:

Peu s'en faut que l'éclair ne leur ravit la vue! chaque fois qu'il leur éclairait, ils y marchaient; et s'il s'obscurcit autour d'eux, ils s'arrêtent. Si Allah le Voulait, Il leur Aurait ôté leur ouie et leurs vues . Certes, Allah Est Omnipuissant sur toute chose.

٢٦ : «إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها» :

Dieu ne répugne pas de tirer semblance d'un ciron ni de ce qui le dépasse.

وقد ترجم «بعوضة» بكلمة "Ciron" ، وهى القراديات ، وتعنى عتة الأطعمة ، أو دودة الجبن ، أو ما يوجد فى الأطعمة الفاسدة وفى الفضلات من ديدان . والاختلاف واضح بين القراديات ، وذوات الجناحين ، التى منها البعوض ، وتعنى بالفرنسية moustique .

ونظراً للدقة العلمية البالغة لمعطيات القرآن ـ وهو ما تناوله العلامة الفرنسي موريس بوكاى فى كتابه المعنون : «التوارة ، الإنجيل ، القرآن والعلم» ، الذى أثبت فيه أن كافة المعطيات الواردة فى التوراة ، والإنجيل لا تصمد أمام التحليل العلمى ، فى حين أن كافة معطيات القرآن صامدة صحيحة ، حتى ما لم يصل إليه العلم إلا حديثا .

ولاشك أن لله حكمته فى اختيار «البعوضة» للتعبير عن أقل المخلوقات شأنا ، فلا يحق للسيد بيرك أن يستبدل الكلمات ، سواء أكان إهمالا ، أم وفقا لما فى نفسه من أغراض ، أو حتى من باب الترخيم كما يقول أحيانا !!

وهاهو يسارع ـ كالمعتاد ـ كلما اقترف تحريفا ما ، أن يكتب هامشا تبريريا ، وهنا كتب يقول : «إن الترجمة هنا مجازية وقد استعرنا كلمة ciron من بسكال» . وما شأننا هنا وبسكال ؟ بل إنه لم يكتب المجال ، أو السياق الذى استخدم فيه بسكال هذه الكلمة !!

٣٠ : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة» ترجمها قائلا :

lors ton Seigneur dit aux anges : "je vais instituer un lieutenant sur terre".

وهنا قد ترجم «خليفة» بكلمة "lieutenant" وتعنى رتبة عسكرية فى معناها الشائع ، أى ملازم ، أو قائمقام . ومعناها المجازى : من ينوب عن الرئيس وفى كلا الحالتين لاتتفق والمعنى الوارد فى القرآن ، وهو «قوم يخلف بعضهم بعضا» كما هو واضح من سورة الأنعام آية ١٦٥ ؛ إذ يقول تعالى : «وهو الذى جعلكم خلائف الأرض» ، أو كما هو وارد فى سورة النمل الآية ٦٢ : «ويجعلكم خلفاء الأرض» .

وقد ترجم السيد بيرك آية الأنعام بكلمة "Successeurs" ، وآية سورة النمل بكلمة "lieutenant" . أمـــا الآية ٢٦ من ســـورة ص : «ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض» ، وهى أقرب الصيغ إلى آية سورة البقرة ، فقد ترجمها هنا بكلمة "lieutenance" ، أى «ملازمية» وهى مشتقة كصفة للرتبة العسكرية .

ونخرج من هذا الخلط الذى لامعنى ولا ضرورة له سوى إسقاط المعنى العسكرى على القرآن ، وفرضه كصفة أساسية للإسلام ، تتمشى مع ما يحاول الغرب فرضه منذ قرون ، من أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف .

٣٤ : «... إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» :

à l'exception d'Iblis. Il s'y refusa par orgueil : le premier des dénégateurs.

تعنى ترجمته :

إلا إبليس : رفض من باب التكبّر : أول المنكرين (أو النافين) .

وبخلاف سوء الترجمة ، نلاحظ أن عبارة «أول المنكرين» لاتتفق ومعنى الآية التى تضاهى إبليس بالكافرين ، أو تضعه فى مصافهم . وهنا أيضا نرى إصراره على تحريف معنى كلمة «الكافرين» لاستبعادها عمن كفر من أهل الكتاب .

٣٧ : «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» .

Or Adam recueillit de son Seigneur certaines paroles, le Seigneur sur lui S'était répenti, car Il est l'enclin-au-répentir, le miséricordieux.

وتعنى ترجمته :

إن الله هو الذى تاب وليس آدم ؛ لأن الله يميل إلى التوبة !!

ولايمكن القول بأن هذه الترجمة قد أتت سهواً من سيادته ، إذ إنه يكررها فى الآية ٥٤ من نفس سورة البقرة : «فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» فترجمها قائلا :

Et pourtant, Il S'est repenti à votre endroit. Il est l'Enclin-au-repentir, le misericordieux.

ومعنى ترجمته :

ومع ذلك ، فلقد تاب الله بدلا منكم ، لأنه يميل إلى التوبة .

وهنا يسارع بوضع هامش يقول فيه :

« (تائب) ، (يميل إلى التوبة) قد يبدو من غير اللائق أن نضفى إلى الله «توبة» فى نطاق أن المرء لايتوب إلا عن خطأ ، وبالطبع ليس ذلك هو الوضع هنا . إن الترجمة لم تضطر إلى أن تستبعد عن نظرها وحدة العبارة التى تضفى هنا على الله وعلى الإنسان ، فالإنسان يرجع عن خطئه أما الله فيرجع عن صرامته . إن الأصل العربى (توب) يطلق عادة لاقتراح فعل الرجوع ، أو العدول عن شئ وفى نهاية المطاف إن ما جعلنا نحسم اختيار (يتوب) هو أن هذه العبارة وفقا لقاموس Littré يمكنها أن تعنى أيضا (تغيير القرار) ، كما أنها قد استخدمت أيضا للإشارة إلى الله فى كلام الإنجيل» (صفحة ٣٢) .

ومن الاستهزاء بالقارئ أن نراه يكتب «إن الترجمة لم تضطر» وكأنها بعيدة عنه ، أو كأنه برئ منها ، فهى التى لم تستبعد وحدة العبارة إلخ...!! ثم يزيد الطين بلة بأن يبرر فعلته هذه بأن ذلك هو المتبع فى «كلام الإنجيل»

متناسيا أن رب الإنجيل تم تأليهه فى مطلع القرن الرابع ، وأن الله عز وجل لم يكن له كفوا أحد ! إلا أن إصراره هذا لايرمى إلا لإيجاد تشابه بين فكرة «الله ـ الإنسان ـ المخلص ـ يسوع» فى المسيحية ، ولصقها بالإسلام .

وهذه ليست المرة الوحيدة التى يضفى فيها بيرك صفات الأنسنة على الله عز وجل ، وإنما كررها فى أكثر من موضع .. مما يدل على إصراره عليها وعلى ما يقوم به من دس لمفاهيم لاوجود لها فى الإسلام ، إلا أن تكرارها يرسخها فى ذهن القارئ للفرنسية ـ فهو المستهدف خاصة بهذه الترجمة المغرضة .

٤٣ : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين» .

accomplissez la prière, acquitez la purification, inclinez-vous avec ceux qui s'inclinent.

وهنا قد ترجم كلمة «الزكاة بكلمة "purification" ، وتعنى «التطهر» !! إن الزكاة من أركان الإسلام ، ومعناها معروف وترجمتها الدارجة معروفة ، وهى l'aumône légale أو l'impôt légal . وهناك من يكتبونه بالأحرف اللاتينية "Zakāt" من شيوع معنها ، وهذا هو الأصح لأن الزكاة ليست صدقة ، أو ضريبة وإنما لها نظامها الخاص كما هو وارد بالقرآن الكريم.

وكالمعتاد يبادر السيد بيرك بدرء فعلته بهامش تبريرى يقول فيه : «إن عبارة (تطهر) بدت فى نظرنا أقرب إلى المعنى الاشتقاقى لكلمة «زكاة» ، ومن المهم تحديد هذه التنويعة بما أنه لايوجد مايؤكد المعنى التأسيسى والضريبى» (صفحة ٣١) .

أما عبارة «وسع كرسيه السماوات والأرض» (الآية ٢٥٥ من نفس السورة فالمعروف أن كلمة الكرسي هنا بمعنى العرش ، وهو تعبير مجازى للإشارة إلى الضخامة ، والاتساع ، إلا أنه ترجمها بكلمة siège أى مقعد ! ثم يشرح فى الهامش قائلا : (مقعده) تعد ترجمة ضئيلة لكلمة كرسى . إن هذه الآية شديدة الأهمية دينيا وتسمى آية الكرسى ، وهو يحمل معنى العرش مجازاً» صفحة ٦٣ .

ومن الواضح أنه يدرك معناها ، وأهميتها ، فلماذا الإصرار على اختيار لفظ لايروقه ؟ بل لماذا يختار كلمة تغاير النص ؟

وفيما يلى نموذج آخر من سورة المائدة :

١ – «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»

"vous qui croyez, remplissez intégralement vos contrats! (p120)

وقد ترجم كلمة «العقود» إلى معناها الحرفى اللغوى : تعاقد (أى كونتراتو) فى حين أن معناها الدينى هنا : العهد الموثق .

وأتت ترجمته كالآتى :

يا أيها المؤمنون أوفوا تعاقداتكم (أو كنتراتاتكم بالتمام) !

ثم كتب فى الهامش موضحا ، أو مبرراً كالمعتاد «تعاقدات» (عقود) : «ليس بغريب أن ينص على هذه العبارة وفى هذه الآية فقط ، لأنها تتعلق بقانون مدنى أكثر من كلمة «عهد» أو «ميثاق» . والانتقال المباشر إلى مفاهيم من نمط آخر ، منذ الجملة الثانية قد أثار دهشة الزمخشرى . إن التركيز فى

هذه الجملة الثانية معطى على كل حال كعلامة تمييز . ترى لو رأينا هنا علاقة الجملة الثانية ما بين الوصفات الشعائرية التالية وهذا الاستهلال التعاقدى ، هل يعد لويا للنص ؟ فيما يتعلق بالقوانين القديمة التى تدخل فى العهد ، أو فى الميثاق فإن القوانينْ الإسلامية تبد وبذلك كتقدم فى المستوى..»

٢- «ولا الهَدْى ولا القلائد...»

ni l'animal d'offrande, ni les guirlandes (p 121)

والهدى : هو ما يُهْدَى إلى الكعبة من الأنعام ، والقلائد : مقصود بها ما يقلد به الهدى فى عنقه ، والمقصود بها ذوات القلائد من الأنعام ، فترجمها بالفرنسية إلى «أكاليل» guirlandes أى أن أكاليل الزهور محرم أكلها !! ولا نعتقد أن أكاليل الزهور تؤكل ! وكان الأجدر به أن يكتب :

ni les offrandes`a immoler, ni les enguirlandées.

٢- «إن الله شديد العقاب» ....:

Dieu est terrible en Sa punition.

أى : إن الله فظيع فى عقابه ، أو مرعب ، أو مخيف وهى مترادفات اختياره!

٣- «إلا ماذكيتم...» :

..., sauf après purification (p 121)

والآية تعنى نوعيات التحريم فى الأغنام وغيرها «إلا ماأدركتم ذكاته بالذبح وفيه رمق» إلا أن ترجمته تعنى العكس تماما ؛ إذ قال بعد سرد

المحرمات إلا بعد تطهيرها» ، وبذلك يصبح أكل الميتة والدم ولحم الخنزير حلالا إذا تم تطهيرها !! .

٤- «قل أُحل لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلبين تعلموهن مما علمكم الله» .

Réponds : "vous sont rendues licites les choses bonnes! " ..et puis, les rapaces devenus tels des chiens que vous instruisez d'une parcelle de ce dont Dieu vous a instruits vous- mêmes.

وتعنى ترجمته :

أجب «أُحل لكم الأشياء الطيبة !» .. وثم ، الجوارح التى أصبحت كالكلاب والتى ستعلمونها جزءاً مما علمكم الله أنتم أنفسكم .

وما أبعد معنى ترجمته التى يقول فيها إن أكل الجوارح حلال بعد أن تصبح كالكلاب ، بعد أن يتم تعليمها جزءاً مما علمنا الله !! فى حين أن الآية تعنى ما يتم صيده بالكلاب المعلّمة أى المدربة .

٥- «أجورهن ... فى الآخرة» :

salaire ....,.... vie dernière.

مازال مصرا ، أو مواصلا لترجمة هاتين العبارتين بمعنى «المرتب» و «الحياة الأخيرة» .

٦- « أو جاء أحد منكم من الغائط» .

ou revenez de la selle

وتعنى ترجمته :

أو كنتم عائدين من البراز !!

وبخلاف تعميمه ، فى حين أن الآية توضح : «أحد منكم» ، وكأن المؤمنين يخرجون إلى الخلاء جماعات كلهم فى آن واحد !

واستخدامه لاسم المادة الفضلية بهذه الفظاظة منفر للقارئ ، وما أكثر العبارات الفرنسية التى كان بوسعه الرجوع إليها ليختار أكثرها أدبا وحرمة للقرآن ، كأن يقول : ou si l'un d'entre vous vient du lieu retiré

٧- «إن الله عليم بذات الصدور» .

Il est Connaissant de l'être des poitrines.

أن ترجمته الحرفية لكلمة «صدور» بـ Poitrines تفقد الآية معناها ، إذ قال : إن الله يعرف الإنسان الخاص بالصدور ، وكأنه شخص متخصص فى الشئون الصدرية ! ومن البديهى أن المقصود بها القلوب ، والضمائر و، ليس الصدر.. ولم يكن من الصعب أن يكتب :

Certes, Allah est Tout-Scient de l'essence des pensées.

٨- « .... كونوا قوامين لله» :

assumez Dieu

وكلمة assumez التى اختارها من الكلمات الفرنسية التى تعنى «تقلد» ، ويتغير معناها وفقا للكلمة التى تصاحبها ، كأن يقال : تحمل المسئولية ، نهض بالأعباء ، تبوأ الحكم ، تسلم القيادة ، فكيف يمكن «تقلد الله» أو

«النهوض به» أو «تبوأه» إلخ .. فكيف يمكن لهذه العبارات أن تستقيم إذا اقترنت بالله ؟

وكعادته يسارع بوضع هامش يقول فيه :

« (تقلد) assumer : إننا نحاول أن نترجم «قوامين» بكلمة assumer واضعين فى الاعتبار الآية المماثلة ـ إن أمكن القول ، وإن كانت عكسية ، من سورة النساء ورقمها ١٣٥ ، وإن كانت العدالة هى المعنية . وهذه السيمترية بين مفهومى (الله والعدالة) لها معناها ، إذ إن المصدر (قسط) يبدو صالح للاستعارة ومن مناخ متجانس» .

ومهما كتب من تبريرات متحذلقة لامعنى لها سوى التشويش على خطئه، فإن ذلك لايعفيه فى فداحة سوء الترجمة وتعمد الإساءة الم يكن بوسعه أن يكتب : forcez votre constance envers Allah

١٢- « ... لأكفرن عنكم سيئاتكم » :

oh ! que je passe sur vos mauvaisetés.

وتعنى ترجمته :

آه ، لأغضن الطرف عن شروركم !

وكلمة mauvaiseté التى اختارها يقول عنها قاموس بيشريل طبعة ١٨٦٦ إنها كلمة قديمة وغير مستخدمة من زمن بعيد ... وذلك إلى جانب أنها لاتعطى المعنى المقصود . وبدلا من هذا التحريف الساخر كان بوسعه أن يقول ببساطة ، على سبيل المثال :

J'Expierai sûrement vos mauvaises actions.

١٧- ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ :

Dénégateurs sont ceux que assimilent à Dieu le messie fils de Marie.

وتعنى ترجمته :

منكرون هم الذين يماثلون (أو يقارنون) المسيح ابن مريم إلى الله .

وما أكبر الفرق بين عبارة ﴿الذين قالوا إن الله هو المسيح﴾ وهو ما تم بالفعل فى مجمع نيقيا الأول ، فى مطلع القرن الرابع الميلادى ، حيث تم تأليه السيد المسيح لغلق باب النبوة على سيدنا محمد (ﷺ) ، وبين صياغة السيد بيرك إذ استخدم فعل "assimiler" ويعنى : يماثل ، يقارن ، يشبّه.

وهو بذلك يسقط أية إدانة عن التحريف المسيحى ، فرجال الكهنوت لم يشبهوا المسيح بالله وإنما قالوا ﴿إنه هو الله﴾ مثلما جاء فى القرآن ... وترجمته بها تحريف واضح فالصواب هو :

Devinrent sûrement mécréants, ceux qui ont dit : "certes, Allah est le Messie fils de Marie" .

٢٢- ﴿قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين﴾ :

Ils lui dirent : "Moïse, il y a dans ce pays un peuple de colosses.

كلمة Colosses عادة ماتشير إلى التماثيل الضخمة ، وهو معناها الشائع، وكان الأفضل أن يختار كلمة oppresseur أو Tyran أو impitoyable وهو ما يتمشى بشكل أوضح مع معنى الآية .

٢٦- «قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض» :

Il dit cette contrée leur fut en conséquence interdite quarante ans, durant lesquels ils demeurèrent par la terre errants.

وقد ترجمها إلى صيغة الماضى (وهو عكس صيغة الآية) قائلا : قال : وهذه البلد بناء على ذلك قد حرمت عليهم لمدة أربعين عاما ظلوا طوالها هائمين فى الأرض .

٢٩- « ... فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين» :

"et sois donc parmi les compagnons du feu" ... C'est la récompense des iniques.

وتعنى ترجمته :

... وكن إذن من بين أصحاب النار ... إنها جائزة الظالمين .

وترجمة «جزاء» بما معناه «جائزة» أو «مكافأة» لايتفق ومعنى الآية ، وذلك ، لأن معنى الجزاء يتحدد وفقا للخير ، أو الشر ، وفى الفرنسية هنا مايقابله فكلمة récompense تستخدم مكافأة العمل الخير ، وكلمة punition وغيرها للتعبير عن جزاء الشر ، أو عكس الخير .

ثم فى بداية الآية ٣٣ يستخدم كلمة rétribution (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) . وأقل مايقال هنا عدم ثباته على المصطلح الواحد للمعنى الواحد .

٤٤- «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله» :

c'est nous qui avons fait descendre la torah, où il y a guidance et lumiere, pour que les prophetes se soumettant a Dieu jugeassent selon les normes entre les adeptes du judaïsme; et aussi les spirituels et les docteurs, en tant qu'ils sauvegardaient l'Ecriture de Dieu et en témoignant.

وتعنى ترجمته :

نحن الذين نزلنا (من النزول وليس من التنزيل) التوراة ، حيث يوجد بها إرشاد ونور ، لكى يقوم الأنبياء ، وهم يرجعون إلى الله ، للحكم وفقا لمعاييره بين أتباع اليهودية ؛ وكذلك الروحانيون والعلماء (أو الدكاترة) ، حيث إنهم حفظة كتاب الله ويشهدون بذلك .

وغنى عن التوضيح بأن «الذين أسلموا» لاتعنى : «وهم يرجعون إلى الله للحكم وفقا لمعاييره» ، و«الربانيون» ليسوا «الروحانيون» و«العلماء» أو «الدكاترة» ليسوا «الأحبار» وتعنى بالفرنسية rabbin .

٤٨- «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله....» :

Enfin nous avons fait descendre sur toi l'Ecrit, dans le vrai, pour avérer ce qui était en cours des Ecritures, on l'englobant.

ويقول فى ترجمته :

وأخيرا نزلنا عليك الكتاب (أو المكتوب) ، فى الحق ، لكى توضح ما كان ساريا (أو موجودا) فى الكتب بضمها (أو بالاشتمال عليها) .

وقد استبعد بيرك تماما المعنى الواضح بالآية من أن الله قد أنزل القرآن بالحق ومصدقا لما تقدمه من كتاب «بين يديه» أى بين يدى السيد المسيح (وهو ما يتفق والآية ٦ من سورة الصف) ، و«مهيمنا عليه» أى مراقبا عليه حتى لايحرفه المحرفون فاحكم إلخ .. أى أنه استبعد أن القرآن قد نزّله الله عز وجل مصدقا لما أنزله من قبل ومهيمنا عليه ، أى مؤتمنا عليه ، أو حاكما عليه وشاهدا عليه وصوابها :

Et Nous te Révélâmes le livre en vérité, corroborant ce qui le précéda du livre, et le contrôlant. Juge donc entre eux d'aprés ce qu'Allah t'A Révélé.

ـ «لكل جعلنا منكم شرْعةً ومنهاجاً» .... :

A chacun de vous, nous avons ouvert un accés, une avenue.

وهنا ترجمها قائلا : «لكل واحد منكم فتحنا منفذا ، وطريقا» كطريق المعادى مثلا بمعنى شارع وعليه الأشجار على الجانبين» وذلك ، لأنه كتبها فى المفرد أما فى الجمع مثال : les avenues du pouvoirs فتعنى الطرق الموصلة إلى السلطة .. وهو غير المقصود فى الآية وهو شرعا ومنهجا :

ـ «ولكن ليبلوكم فى ماآتاكم...» :

mais il voulait vous éprouver en ses dons.

وتعنى عبارته :

ولكنه كـان يريد أن يختـبـركم فيـمـا منحكم (أو وهبكم) من الهبـة ، والعطايا ولاتعنى «الشرع» أو «من الكتاب» .

وبخلاف ركاكة الترجمة بصفة عامة فهو يضع هامشا لكلمة «مهيمنا عليه» التى ترجمها بعبارة englobant يقول فيه : «إننا نحاول بذلك أن نعبر عن واحدة من الأفكار التى يثيرها تعبير (مهيمن) ، ووفقا لاقتراح آخر فإن الكلمة مشتقة من المصدر (أ م ن) ويثير معنى الطمأنة . ثم انتقلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية الحديثة بمعنى (السيطرة ، المراقبة) » .

أى أنه يعلم أن عبـارة «مـهـيـمنا عليـه» تعنى السيطرة عليه (أى على الإنجيل) لكن التحريف يقتضى منه التحذلق الذى يكشفه أحيانا ، أو يكشف عن نواياه .

٥٥- «... الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون...»

ce sont ceux qui effectùent la priere acquitent la purification dans la prosternation.

وتعنى ترجمته :

إنهم هم الذين يقيمون الصلاة ، ويؤدون التطهر بينمـا هم راكعون أى أثناء الركوع!!

وبخلاف إصراره على التحريف فى ترجمة كلمة «الزكاة» إلى «تطهر» كما رأينا من قبل ، وبدلا من أن يعبر عن الأفكار الثلاث الواضحة فى هذا الجزء من الآية ـ وهى إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ودوام الركوع لله ـ

ترجمها حتى بالتحريف إلى أنهم يتطهرون بتقديم الزكاة وهم ركوع .. ولانفهم كيف يمكن أن يتم ذلك .

٦٤- «وقالت اليهود يد الله مغلولة» :

les juifs disent : "la main de Dieu est verrouillée.

وقد ترجمها بأن يد الله «مغلقة بمزلاج» !

فى حين أن الغل يعنى القيد ، وهو هنا كناية عن البخل .

٦٨- «قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا...» :

Dis : "gens du livre, vous êtes completement en l'air, tant que vous n'appliquez pas la torah et l'Evangile et la révélation sur vous descendue de votre Seigneur" Il est vrai que celle descendue sur toi du Tien ne fait que grandir beaucoup d'entre eux en impudence et dénégation!.

وأول ما يلفت النظر فى ترجمة هذه الآية هو استخدام السيد بيرك لكلمة «التنزيل» عقب كلمتى التوراة والإنجيل ، فى الوقت الذى تحاشى استخدامها مع القرآن مستعينا بكلمة «نزول» . أما ترجمته لعبارة «لستم على شئ» فقد رأى أن يختار لها عبارة : «أنتم فى الهواء تماما» مستشهدا بالدبوس فى الهامش المبرر لها .

٧٠- «وأرسلنا إليهم رسلا» :

Nous leur envoyâmes des envoyés (p 132).

نعتقد أن المقصود بالرسل هم الأنبياء ، إلا أنه ترجمها بمعنى المراسيل ، خاصة ، وأنه لم يضع بداية الكلمة بالحرف الكبير : Envoyés .

٧١- «... ثم تاب الله عليهم» :

Malgré cela Dieu se repentit en leur faveur

وتعنى ترجمته :

ومع ذلك فلقد قام الله بالتوبة لصالحهم .

وبخلاف تكرار تأليفه ، أو زجه بكثير من العبارات غير الواردة فى النص القرآنى من قبيل «فورا» و «مع ذلك» إلخ ـ فإن إصراره على إضفاء صفة الأنسنة على الله عز وجل ، وإصراره على أن الله هو الذى يقوم بالتوبة ، كأنه يقدم على شئ ، ثم يندم عليه ويتوب عنه ، فهو أمر غير مقبول ومرفوض تماما رغم أية مبررات متحذلقة يدسها فى حواشيه . وكان الأجدر بمن فى مثل سنه ومركزه أن يعرف أن معناها كالآتى :

Ensuite Allah leur A Fait Rémission.

١٠١- «يا أيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزّل القرآن تُبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم» :

Vous qui croyez, gardez-vous d'interroger sur des choses qui, a vous découvertes, vous feraient mal, et qui, si vous interrogiez sur elle en cours de descente du Coran, pourraient vous êtres rendue, patentes, alors que Dieu les effaçait.

وبخلاف ركاكة الأسلوب البشعة ، فإن ترجمته تعنى :

يا أيها المؤمنون ، تحاشوا أن تسألوا عن أشياء إذا كُشفت لكم ، ستؤلمكم، والتى إن سألتم عليها أثناء نزول القرآن ، يمكن أن يتم توضيحها لكم ، فى الوقت الذى يمحوها فيه الله .

١١٠- «وإذ قال الله ياعيسى ....» إلى آخر الآية :

لقد نسى خمس كلمات هى : «فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى » لم يترجمها ، ولاشك فى أن السيد بيرك قد أغفل ترجمة هذا الجزء من الآية لأنه وارد فى الانجيل ومعروف تاريخيا ، وان نقل هذه الواقعة الى النص الفرنسى يدل على أن القرآن يشير إلى حقائق ثابتة .. وهو ماحاول جاك بيرك التضليل عليه بحذف هذه الكلمات الخمس مثلما تعمد حذف آيات أو كلمات اخرى لها دلالتها وذلك بخلاف تغيير ترتيب عبارة «نعمتى عليك وعلى والدتك» .

ترجمها : نعمتى على والدتك وعليك»

Mon bienfait sur ta mere et sur toi.

١١١ - ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ :

et que j'inspirai aux apôtres : "Croyez en moi et à mon Envoyé" et ils dirent: "Nous croyons. Témoigne que nous sommes de ceux-qui-se-soumettent".

وتعنى ترجمته :

وكنت أوحى للحواريين : «آمنوا بى وبرسولى» فقالوا : إننا نؤمن . اشهد بأننا من الذين يرضخون (أو يخضعون) وترجمة كلمة «مسلمون» بعبارة «يرضخون» أو «يخضعون» غير سليمة ، إلا أنها من الكلمات التى فرضها المستشرقون بغية تحريف معنى كلمة الإسلام إذ وضعوا المقابل لها soumission ، بمعنى الخضوع ذلاً ، ومهانةً ، فى حين أن المعنى الدقيق لكلمة إسلام هو أن يسلم الإنسان أمره إلى الله بكل ثقة واطمئنان . فتكون الترجمة السليمة لها هى "se remettre à Allah"

١١٨ - ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾

ترجمها «فهم عبيدك» : Tes esclaves

١٢٠ - ﴿لله ملك السماوات﴾

ترجمها «لله ملَكيّة السماوات» : la royauté

ولم تكن هذه النماذج إلا شذرات على سبيل المثال

** النبـى الأمـــىّ **

ولو اتبعنا ترجمته لبعض العبارات القرآنية التى لايمكن لإنسان أن يخطئ فهمها ، أو معناها لوجدناه يقترف نفس الأخطاء التى تكشف عن سوء النية، أو الاستهزاء ومنها تعبير : « النبى الأمىّ» الذى يرد فى سورة الأعراف الآية ١٥٧ :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ»

ترجمها إلى :

en faveur de ceux qui suivent l'Envoyé, le prophète maternel (p 181)

وتعنى ترجمته :

لصالح الذين يتبعون الرسول النبى الأمومى (من الأمومة) !!

وبغض النظر عن تغيير بداية الآية ، فإن ترجمته لكلمة «أمىّ» ، وتعنى فى كافة القواميس والتفاسير : «الشخص الذى لايعرف القراءة والكتابة» بكلمة «الأمومى» من الأمومة ، أو على صلة بالأمومة ، فيفوق أى تعليق ..

فهو اختيار يرتبط بلا شك بتلك الفكرة الغربية التى حاولوا فرضها للتشكيك فى أخلاقيات الرسول (ﷺ) من جهة وخاصة فى «إدعائه عدم معرفة القراءة والكتابة» ، لذلك اتهموه بالاحتيال ضمن ما اتهموه به تجريحا،

ومنها مسرحية الأديب الفرنسى ڤولتير : «محمد أو المحتال» ! وهو ما يتمشى مع إنكارهم النبوة ومعجزة تنزيل القرآن على رسول لايعرف القراءة .

ولا أدل على سوء نية السيد بيرك من مواكبته لنفس هذه الفكرة وإصراره عليها حتى وإن كان بصورة أكثر التواءً ؛ إذ عاد يكرر نفس التعبير فى ترجمته الآية التالية من نفس السورة .

ثم يبادر كعادته كلما اقترف جرما فى حق القرآن ، بوضع هامش طويل يقول فيه مبررا فعلته :

«أمىّ : لقد أفاضت كتب التفسير والاستشراق فى تفسير هذه الكلمة التى ليس لها بالضرورة معنى واحد فى القرآن ، وعندما نطبقها على النبى ، هل يتعيّن علينا أن نضعها وفقا لعلم الاشتقاق ـ وأصل الكلمة ـ مع أصالة الأمومة ، أو مع الأمة (وإن كان الجمع يمثل صعوبة فى الشكل النعتى) ، أو مع الاتجاه والهدف (أم) إلخ ؟ ..

«إن قاموس القرآن فى مجمع القاهرة يختار مثله مثل لسان العرب والعديد من المعلقين ، دون أن نغفل نفس حديث البخارى (رقم ٩٦٨) عبارة : «من لايعرف القراءة والكتابة» .

«وبعض المحدثين ـ ومنهم صديقنا الراحل رچيس بلاشير ـ يرون أنها تعنى : «نبى الوثنيين» لكننا نؤثر التنويعة التى ترتبط بما تثيره المفاهيم القرآنية مثال الفطرة ، الإخلاص ، الحنيف ، أى : التى ترتبط بمفاهيم تلقائية لم يحرّفها التغيير ، **مما نجم عنه الترجمة التى جرؤنا عليها** ، والتى أقل عنوان لها (أو أبسط صفاتها) ، فى نظرنا ، ليس التأكيد على علاقة المرأة كما فى الكلمات المشتقة من ر ح م . إن محمدا كان يتيم الأب ، والقرآن يصر على هذه الصفة (راجع صورة الضحى: ٦) » (صفحة ١٨١) .

أى أن سيادته قد خرج على كل التفاسير والمفسرين والأعراف كافة ليضفى صفة التأنيث على سيدنا محمد ، استناداً إلى إصرار القرآن !! كما أن اختياره هذا قد تم بناءً على أصالة الكلمة ، «فالتغيير» قد حرّف معنى الكلمة من «أمومة» إلى «الجهل بالقراءة والكتابة» ، فقام سيادته مشكورا بإعادتها إلى أصلها !! .

ولم يكتف بهذه المغالطة السافرة فى نص القرآن ، بل راح يؤكدها فى دراسته التحليلية حيث يقول : «لقد رأينا فى مديح وصف به النبى وكيف أنه كان يحترم العلاقات الشهوانية ، والعاطفية : إنك لتصل الرحم» صفة ٧٦٠ .

وبغض النظر عن استشهاده بالطبرى مصداقا لفرياته ، فمن الواضح تضامنه مع تلك النغمة النشاز التى ينشزها الغرب على سيد المرسلين ، من أنه كان شهوانيا غارقا فى الملذات .. وهو ما يكشف عن موقف بيرك غير الأمين من النص القرآنى ، كما أن استشهاده بعبارة : «إنك لتصل الرحم» للتدليل على «شهوانية» الرسول لأكبر دليل على عدم فهمه للغة العربية ، مثله مثل بقية المستشرقين مدّعى الأمانة . وكذلك رأى سيادته أن تعبير « الرحمن الرحيم» مشتقة من «رحم المرأة » أى : عن «طريق التضامن مع النساء» ، ومن المعنى الأعم وهو «الأُسرى» !!

*** البقرة ٧٨ – «ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ...» :**

Il s'en trouve parmi eux d'incultes, qui ne connaissent l'Ecrit qu'à travers leurs appétences.

وقد ترجمه إلى ما معناه :

يوجد بينهم أناس بلا ثقافة فكرية ، لايعرفون المكتوب (ويقصد القرآن) إلا من خلال نزعاتهم الغريزية .

وهنا يواصل جاك بيرك نفس التلاعب بالإصرار على عدم أميّة سيد المرسلين باختيار كلمة تتضمن معنى معرفة القراءة لكنهم أناس بلا ثقافة فكرية ، وذلك تمشيا مع الهدف والمغالطة بالتلاعب بالألفاظ .

*** آل عمران ٢٠– «.... وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم» :**

Et dis à ceux qui ont reçu l'Ecriture et aux gentils...

وتعنى ترجمته :

وبخلاف عدم ثباته على مصطلح واحد ؛ إذ مرة يترجم الكتاب بكلمة Ecrit ومرة أخرى بكلمة Ecriture ، وتعنى الكتابة ، مما يبلبل ذهن القارئ ، فلا نشير هنا إلا لترجمته كلمة «الأميين» بكلمة "gentils" ، وهى كلمة عبرية الأصل وتعنى وثنيين ، وإن كانت بالنسبة لليهود القدامى تعنى «غريب» وبالنسبة للمسيحين تعنى «وثنى» ومعناها الشائع هو : «غير المؤمن دون اليهود والمسيحيين» .

ومن الواضح أن المقصود بكلمة «الأميين» فى هذه الآية ، وفى سياق هذه السورة يعنى أهل الكتاب من يهود ومسيحيين والعرب الأميين وليسوا الوثنيين فحسب ، أى أن السيد بيرك يستبعد ببساطة اليهود والمسيحيين من مضمون هذه الآية وغيره .

*** آل عمران ٧٥ ـ « .... ليس علينا فى الأميين سبيل» :**

il n'y a pour les gentils contre nous nul recours.

وهنا ترجم كلمة «الأميين» بكلمة «الوثنيين» أو «الغرباء» وهو ما يتمشى مع المضمون السابق .

*** الجمعة ٢ ـ «هو الذى فى بعث الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته» :**

lui qui a envoyé au sein des incultes un Envoyé des leurs pour leur réciter Ses signes.

أما فى هذه الآية فقد ترجم «الأميين» بالمعنى السابق استخدامه وهو قوم بلا ثقافة فكرية . أى إنهم يعرفون القراءة والكتابة ، ثم يبادر كالمعتاد بوضع هامش يقول فيه :

«إننا نختار هذه المره كلمة «غير مثقفين» لترجمة «أميين» التى تشير هنا، فيما يبدو ، إلى العرب (راجع حمزة بو بكر ، وهامشه) . و «منهم» يمكنها تأكيد الترجمة التقليدية لكلمة «أمى» عندما تنطبق على النبى . وكذلك يمكننا أن نفهم أيضا : (الذين لم يحصلوا بعد على التنزيل) بما أن (منهم) تشير إلى الأصل ، وهذه الترجمة الأخيرة تتفق والنزعة العالمية التى تبدو فى الآية ٣» (صفحة ٣١٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن يعلم كلمة «التنزيل» بالفرنسية كما سبق واستخدمها فى ترجمته للآية ٦٨ / المائدة ، عندما كان الأمر يتعلق باليهود والمسيحيين هنا فى سياق هامشه ، وهى révélation . لكن حينما تتعلق الترجمة بنص القرآن المنزّل ، فهو يستخدم كلمة «نزول» بمعنى نزول السلالم مثلا ! ولا تعليق على تحريفه أو تشكيكه فى أن كلمة «أميين» هنا تشير إلى العرب «فيما يبدو» عل حد زعمه ، ودرئه ما اقترفه من جرم فى ترجمة تعبير «النبى الأمى» الذى لا لبس فى معناه ، وهو ماتثبته أيضا هذه الآية فيبادر

بقوله إنها ترجمة تقليدية فى حين أن إضفاء الأنوثة على النبى وجعله «النبى الأمومى» هى الترجمة الجديدة المبتكرة !!

*** الأحزاب ٤٠ ـ «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»**

فقد ترجم عبارة «خاتم النبيين» : le Sceau des prophètes;

بمعنى الخَتْم الذى تختم به الأوراق ، ولم يدرك أن خاتم هنا اسم فاعل من ختم أى آخر الأنبياء . ولانخاله يجهل كلمة ultime بالفرنسية ليقول l'ultime prophète ، لكنه إذا صاغها بهذا الشكل لوقع فى تناقض مع نفسه وبدا وكأنه يعترف بنبوة سيدنا محمد وبأنه آخر نبى أرسل للعالمين . والطريف هنا أنه لم يترجمها ترجمة حرفية كما يحلو له عادة ليقول le dernier des prophètes فهذه الصياغة أو التركيبة بالفرنسية بمثابة سُبّة وتعنى «أخْيَبْ الأنبياء» ..وبما أنه حريص على الا تبدو طعناته واضحة من الوهلة الأولى ، فقد استخدم العبارة الشائعة لدى كافة المستشرقين وجعلو الرسول صلوات الله عليه أداة تختم بها الأوراق !

والأكثر طرافة من ذلك أنه لم يلجأ هذه المرة إلى كتابه هامش كعادته كلما اقترف إثما فى حق الترجمة ولم يشر إلى التفاسير ولو بالباطل كما فعل فى عبارة «لكل كتاب اجل» وألصقها بأبى بكر ، واكتفى بنقل بنى جلدته .

** صبغة الله **

وها هو نموذج آخر يوضح أسلوب تعامله مع النص القرآنى ومدى فهمه له أو للغة العربية .

﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾

(البقرة (١٣٨)

une teinture de Dieu ! mais qui peut mieux teindre que Dieu, quand nous l'adorons?

وتعنى ترجمته :

التى حوّل فيها معنى «صبغة الله» وتعنى دين الله وهو الإسلام ، وفطرة الله التى فطر عليها الناس إلى عبارة «صَبْغَة» من الصباغة وتغيير اللون ، وبذلك رأى سيادته أنه لايوجد من يجيد الصباغة خير من الله ، إذ كتب يقول : «صباغة من الله ! لكن من ذا الذى يمكنه أى يصبغ أفضل من الله، عندما نعبده؟» !!؟!

ثم يسارع بوضع هامش يكشف عن سوء فهمه للنص القرآنى ، وبالتالى يكشف عن سوء نيته ، أو نزعته الانتقامية نتيجة لجهله ، إذ كتب يقول : «لاشك أنها إشارة ساخرة إلى التعميد المسيحى إلا أن الإيحاء القوى لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير ، ومع ذلك ، فالأفضل ـ فى نظرنا ـ أن نترك للتشبيه كل قوته» (صفحة ٤٤) .

* «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين»

(المؤمنون ٢٠)

et un arbre issu du mont Sinaï : on récolte l'onguent et un (fameux) condiment pour les mangeurs.

وتعنى : تنبت بالدهان (أو المرهم). وبهار (شهية) للآكلين .

ثم وضع هامشا يقول فيه : «بهار (شهية) : إننا نحاول بذلك أن نعبر عن الصيغة التفخيمية التى تكمن فى عدم تحديد هذه الكلمة ، فى حين أن الكلمة السابقة كانت محددة» (صفحة ٣٦٢)

الأمر الذى يحاول معه تأكيد ما أورده من معنى الصباغة الذى أضفاه على الآية السابقة . اللهم لاتعليق .

** الأرحـــام **

ونفس المتابعة نجريها مع كلمة «الأرحام»

*** النساء ١ : «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام» :**

prémunissez-vous envers Dieu, de qui vous vous réclamez dans votre sollicitation, et aussi envers les matrices (p 94).

وتعنى ترجمته :

اتخذوا الحيطة تجاه الله ، الذى تستندون إليه فى توسلكم ، وأيضا تجاه «رحم المرأة» (وقد وضعها فى صيغة الجمع وكتبناها بالمفرد ليدرك القارئ معناها) .

ولايمكن إغفال سوء ترجمته لكلمة «اتقوا» التى ترجمها طيلة الوقت بما معناه : «اتخذوا الحيطة» أو : «احذروا» ، وليس بمعنى خشية ، وهى crainde.

أما تحريفه لمعنى كلمة «الأرحام» هنا وتعنى : «صلة القرابة» إلى كلمة matrice وتعنى «رحم المرأة» تتمشى مع ما حول أن يضفيه من معان مغرضة فى تقديمه لسورة النساء فى الهامش الذى خص به هذه الآية :

«.. إن اللهجة الجدالية ترمى من الآن فصاعدا إلى العدو الداخلى : المنافقين واليهود . إن الاهتمام بالمعركة يظل حيوياً إلا أن هذه المكونات يتم

التعبير عنها تحت العلامة الظاهرة للمرأة ، مما نجم عنه العنوان . والخطاب متعدد الموضوعات ويمكن على الأقل تجميعه فى مقاطع ذات موضوعات رئيسية : موضوع المرأة (آية ١ـ٤٣و ١٢٧ ـ ١٣٠، التى لها تكملة فى الآية ١٧٦) ، موضوع المنافقين (آية ٤٤ ـ ٧٠) ؛ المنافقون والمعركة (آية ٧١ ـ ١٠٤) ؛ أهل الكتاب ويسوع (آية ١٥٣ ـ ١٧٥) . ويلاحظ تكرار نهايات الآيات التى تشيد بصفات الله فى علاقة مرهفة بالجملة السابقة (ويقصد بها موضوع المرأة) ، أن النبى كان يتيما ، وهناك علاقة مزدوجة تضفى على هذا النص بصفة خاصة والثرى بإيحاءات الأنوثة ، سواء أكان من القهر الواقع ، أو الذى يجب خشيته ، أم من (ابن مريم) » .

أما الهامش الذى وضعه للآية الأولى فيقول مبررا اختياره لتعبير «رحم المرأة» : إنها إشارة ممكنة للعبارة الشعبية القائلة : «ناشدتك الله والرحم» وتعنى: أناشدك باسم الله والقرابات الأمومية» ، وتعنى حرفيا : «الرحم» (matrice) لقد تمت قراءة «أرحام» وفقا لثلاث تصريفات (القرآن ، وحمزة، وفلاسفة البصرة وزيد) ، يقول : إن ترجمتنا التى تحافظ على عنف الصورة «الرحمية» (matricielle) ، تصوب أيضا غموض الجملة : وهو غموض شكلى على أى حال ، لأن المعنى لاجدال فيه : فقد أعيدت (الأنوثة الخالدة) إلى كرامتها» ! (صفحة ٩٤) .

*** الأنعام ١٤٣ ـ ١٤٤ : « ... أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين» :**

Ou tout conténu de la matrice des deux femelles

وترجمها إلى ما معناه : «أو أى محتوى لرحم الأنثيين» . وهو أبعد ما يكون عن مضمون الآية فى ذلك الجزء من السورة الذى يتحدث عن خطأ

تقسيم العرب قديما للأنعام ، وأن الله لم يحرّم شيئا من ذلك ، ويعنى هذا الجزء من الآية : «هل يشتمل الرحم إلا على ذكر ، أو أنثى ؟ فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا» ؟ (ابن كثير) .

وهو نموذج من مئات النماذج التى تدل على عدم فهمه للغة العربية أو إحساسه بها من جهة، واستماتته لاختلاق مجالا التحريف من جهة أخرى.

*** الأنفال ٧٥ ـ «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» .**

quand aux parents par les femmes , ils ont priorité les uns sur les autres selon le livre de Dieu.

وتعنى ترجمته :

أما فيما يتعلق بالأقارب عن طريق النساء ، فلهم أولوية بعضهم على بعض وفقا لكتاب الله .

وبخلاف سوء الترجمة الواضح فإن قوله ، (القرابة عن طريق المرأة) يربط العقيدة الإسلامية بالعقيدة اليهودية ، فهى وحدها التى كانت ومازالت لاتحسب القرابة إلا عن طريق الأم ، ثم يستند إلى كتاب الله لإثبات هذه الفرية . ونظرا لحاجته إلى هذا الإثبات فقد ترجم تعبير «كتاب الله» ترجمة صحيحة إذ قال :

" Livre de Dieu" ولم يقل "Ecrit" أو "Ecriture" كما يترجمها عادة !!

* الرعد ٨ ـ «الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وماتزداد وكل شئ عنده بمقدار» .

Dieu connait ce que porte toute femelle, et la contraction comme la dilatation des matrices : toute chose trouve en lui sa mesure.

وتعنى ترجمته :

إن الله يعلم ما تحمله كل أنثى ، وتقلص الأرحام وتمددها : إن كل شئ يجد مقياسه فيه (الله) .

وهو نموذج من النماذج التى لاحصر لها للترجمة الحرفية التى لاتنقل المعنى ، خاصة فيما يشوه معنى صورة الله عز وجل ، ومنها «أنه يتوب» كما رأينا فى مكان آخر !!

*** الأحزاب ٦ ـ «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» :**

le prophète est plus proche des croyants qu'eux mêmes; ses épouses sont leurs merès; les parents naturels ont priorité réciproque, d'aprés le livre de Dieu, sur les croyants avec ceux de l'exode .

وتعنى ترجمته :

إن النبى أقرب إلى المؤمنين من أنفسهم ؛ وزوجاته هن أمهاتهم . إن الأقارب الطبيعيين لهم أولوية متبادلة ، وفقا لكتاب الله ، على المؤمنين وعلى مؤمنى الخروج .

وبصرف النظر عن الترجمة وكل ما تتضمنه من أخطاء وتحريف إلا أن اختياره لكلمة "exode" للتعبير عن «المهاجرين» فهى تنقل القارئ إلى اليهود إذ إنها ارتبطت بخروجهم من مصر . وصياغته avec ceux de l'exode (وعلى مؤمنى الخروج) يؤكد هذا القصد ، وكان لزاما عليه أن يستخدم كلمة : "émigrés" وتعنى «المهاجرين» . ومما يثبت بالقطع أن السيد بيرك يفهم معنى كلمة «أرحام» باختلاف تنويعاتها وفقا لموقعها فى سياق النص ترجمته الآية ٢٢ من سورة «محمد» : «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم» :

alors faut-il s'attendre `a ce que, par votre dérobade, vous fassiez dégat sur la terre, mettiez en pìeces vos liens de parenté?

وتعنى ترجمته :

إذن هل يجب أن نتوقع بهروبكم أن تتسببوا فى خسائر على الأرض ، وأن تمزقوا صلات القرابة ؟

وهنا لايسعنا إلا أن نتساءل : ترى ، لماذا لم يترجم السيد بيرك هذه العبارة ترجمته الحرفية الشهيرة ، كلما تعمد الإساءة إلى النص القرآنى ؟ ألم يكن من الأصوب .. وفقا لمنطقه المريض أن يكتب قائلا :

que vous mettiez en pìeces vos matrices !

لكن الله عز وجل أراد أن يكشفه بعمله ويكشف أنه يعلم الصواب لكنه يتعمد الخطأ .

** عدم فهم أم تحريف ؟! **

* «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»

(البقرة ٢١٣) :

mais Dieu avait guidé les croyants à diverger avec son autorisation, sur tels points de la vérité.

وتعنى ترجمته :

«إن الله قد أرشد المؤمنين إلى الاختلاف ، بموافقته (أو بإذنه) ، حول تلك النقاط من الحقيقة» .

الأمر الذى يقلب معنى الآية من أن الله قد هدى الذين «اختلفوا فيه من الحق» إلى أنهم قد اختلفوا فيه بأمر من الله !!

ثم يضع هامشاً يقول فيه :

«إن (اختلفوا) الثانية تبدو فى نظرنا أنها فاعل للمؤمنين ، وتبرر وجود مساحة من الاختلاف المذهبية ، إن التفسير التلقيدى يخفى تماما هذا المعنى» (صفحة ٥٥) .

تحريف المعنى ، ثم الخروج من هذا التحريف بأدلة لإثبات الباطل .

هل هذه هى أمانة السيد بيرك ؟!

** حول وفاة السيد المسيح **

* «إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك ..»

(آل عمران ٥٥) :

Lors Dieu dit : Jésus, voici que je te recouvre, t'élève vers moi, te purifie.

لقد ترجم «متوفيك» بكلمة : «مستردك» (من الاسترداد) .

ثم يقول فى الهامش :

«إن التفسير الإسلامى يفهم هذا الـ «متوفيك» على أنه لايتضمن الوفاة، وإنما نوع من التحاشى جانبا : اختطاف ، أو نوم . ومن الملاحظ أن هناك تفسيراً مبتكراً للزمخشرى يقول فيه : «إننى أحميك من أعدائك وأمهلك الفترة التى قررتها لك ، وسوف تموت عندئذ لابجريمة أيديهم ، وإنما تلقائيا» (صفحة ٧٦)

وما أكثر النماذج التى يتضح فيها عدم التزامه بأمانة العبارة ودقتها ، وإنما اختيار الكلمات وفقا لما فى نفسه من أغراض .

** الشعائــر **

* « إن الصفا والمروة من شعائر الله »

(البقرة : ١٥٨)

Çafa et Marwa font partie des repérages de Dieu.

وتعنى ترجمته :

إن الصفا والمروة تمثل جزءاً من العلامات التى يضعها الله .

ذلك أن كلمة repérages التى اختارها تعنى : «وضع علامات» .

ثم يقول فى الهامش : «repérages (شعائر) : وكان يمكن أن نقول أيضاً "signalisations"(وتعنى وضع إشارات) . إن الرازى يربط بين فعل (أشعر) وتعبير (إشعار السنن) أى : وضع علامة بالسكين على صنم البهيمة المضحاة (صفحة ٤٦) .

لايمكن إغفال أن كلمة «شعائر» مرتبطة بالمناسك الدينية الإسلامية ، وهناك ما يقابلها بالفرنسية وهى rites ، ولم يكن بحاجة إلى الاستشهاد بالرازى لمداراة مغالطاته ، أو استهزائه بالإسلام والمسلمين .

ألم يكن من الأجدر به أن يشرح معنى كلمتى : (الصفا والمروة) للقارئ الأجنبى الذى يوجه إليه فرياته ؟ إلا أن شرحهما كان سيضطره إلى التحدث

عن سيدنا إسماعيل وأمه هاجر ، وبالتالى التحدث عن سيدنا إبراهيم ، لكن ذلك هو ما يحاول الغرب طمس معالمه ، ويأتى موقف السيد بيرك هنا أيضا مواكبا لحملة التضليل الممتدة ، والتى تصر على استبعاد إسماعيل وعدم الاعتراف به الابن البكر الذى تم العهد فى زمنه ، وكان فى الثالثة عشر من عمره ، أى قبل أن يولد إسحاق بعام (سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر) !

وتتميز هوامش چاك بيرك بنفس التحايل ، سواء لتبرير ما يقترفه من مغالطات ، أم للتخفى خلف التفاسير ، أو حتى خلف مايدركه من حقائق وفيما يلى بعض الهوامش نوردها تباعا ، بالإضافة إلى ما ماطلعناه فيما تقدم :

* يقول فى الهامش الخاص بالآية ٢٣ من سورة «يوسف» :

« الآيات من ٢٣ إلى ٣٤ حوالى عشر آيات تتضمن منظراً مزدوجا جنسى اللهجة . ترى ! هل المنظر الثانى يهيئ من التلميحات التى تضفيها الآية الثانية على عصمة يوسف ؟ إن الطبرى فى المجلد ٢ صفحة ١٠٨ فى آخر الصفحة يفرد مكانة واسعة لهذه الإيحاءات ، وقد جمع العديد من الغرائب التراثية التى يبدو أنها ترضخ عن عدم اقتناع لمثل هذه العفة !» (ص٢٤٧) .

* يقول فى الهامش الخاص بالآية ٣١ من نفس السورة ، بعد أن ترجم «متكأ» بكلمة «وليمة» ، ولاداعى للتعليق على الفرق بين العبارتين .. كتب فى الهامش قائلا : «إن الترجمة هنا مسهبة ، فالكلمة والمنظر يثيران دهشتنا إلى حد ما . والأمر يتعلق بالنسبة للضيوف فى أن يأكلوا وهم متكئون على الوسائد والسجاد ، وهى إشارة إلى حفلة السكر والعربدة (orgie) التى نتخيلها

لكنها لاتحدث . أما عبارة : «أكبرنه» ، فيقول أحد المفسرين الذى يذكره الطبرى (نفس المجلد) صفحة ١٢١ السطر ١٨ وما بعده قد فسرها بأنهن «قد أحضْن» (ص ٢٤٨) !

ولن نعلق على ما فى هذا الهامش من انحطاط ، ونكتفى بالإشارة إلى المعنى الحديث لكلمة orgie ، إلى جانب السكر والعربدة ، فهى تشير إلى حفلات العلاقات الجنسية الجماعية ، فهل يليق ، أو حتى يعقل أن يخرج القارئ بمثل هذه الإيحاءات من قراءة ترجمة معانى القرآن بقلم السيد بيرك ؟!

* ويقول فى الهامش الخاص بالآية ٦١ من سورة «الكهف» : «إن المفسرين لم يدركوا أن هذه «الوصلة» غير محددة الموقع . إننا نترجم «سَرَبًا» بكلمة «الانزلاق» لكى نعبِّر بالإيحاء عن هذه الكلمة التى قد أحارت المفسرين . فهناك عشرة تفاسير فى الطبرى ، منها تفسير يستند إلى أحد الأحاديث ، ويرى أن معناها : عبارة عن نفق ينفتح فى الأرض وتدخل فيه السمكة (يحدد لنا المؤلف أنها كانت مشوية!)» (ص ٣١٤) .

* ويقول فى الهامش الخاص بالآية ٧ من نفس السورة : «من الآيات ٧١ إلى ٧٩ : إنها رحلة ذات محن ، حيث «المعنى الخفى» الخاضع للتأويل لايتضح إلا فى النهاية . لكننا نقول : لا ليس بدون إبراز قدر من العبث . ولاشك أن الفقه يرى فى القصة درسا فى الأخلاق ، يرمى إلى الآداب فى العلاقات بين الشيخ والمريد ، إنها قمة الخارجانية (أو التخارج ، أى علم إخراج الصورة التى بالداخل) ! إننا نفضل أن نرى هنا بزوغ لمحة عبث على طريقة كيركجارد» !! (ص ٣١٥) . ولانعلق ..

* ويقـول فى هامش الآية ٨٣ من نفس سـورة الكهف : «مـايجب أن نذكره» تعنى المعنى الأخروى . وهناك موقف آخر متحفظ تجاه الأساطير . إن التفسير سواء بالنسبة لهذا الـ «ذى القرنين» (الذى له قرنان) سواء بالنسبة لموسى (الذى يحاول تراث منعزل أن يجعل منه شخصية أخرى غير التى فى سفر التكوين) ، يمزج بالتشابه الاسطورى المتناقض ، مبتعداً كثيرا عن سبب النصوص» (ص ٣١٦) .

ولانقول شيئا عن معنى ترجمته للفظة «ذى القرنين» التى ترجمها Bi-Cornu أى المقرّن!!

وليست هذه النماذج العابرة إلا أمثلة تؤكد غياب النزاهة العلمية عند جاك بيرك ، تلك النزاهة التى راح يتهم الآخرين بغيابها لديهم ، مثلما قال عن حمزة بو بكر وترجمته لمعانى القرآن ..

وإذا ما طبقنا علوم البلاغة الجديدة ـ من تحليل منطقى وسيموطيقى وسيمانطيقا وما إلى آخره مما تلفع به ، على نفس الأسلوب الذى صاغ به مقدمته ـ لخرجنا من أول الى آخر كلمة بما لايشرفه من مغالطات واستخفاف ، ولانذكر منها على سبيل المثال إلا مايلى :

ففى أول جملة تناول فيها نقطة تجميع القرآن يقول :

"A en croire les sources traditionnelles

ومعناها : «على حد زعم المصادر التقليدية فإن ...» أى : أن التشكيك المبيّت لديه يتجلى من أول كلمة كتبها ، وكان بمقدوره أن يكتب تعبير selon les sources أو d'après les sources ، وكلاهما يعنى «وفقا للمصادر» ، وذلك فى حالة استخدام صيغة الحياد العلمى وليس التشكيك...

أما أسلوبه فى وصف الله فقد أوضحنا كيف أنه قال ما معناه : «إن القرآن يشير بروعة مرعبة إلى الارتعادات والذعر الذى سيصيبكم أمام الحاكم (ويقصد الله) ، وها هى القشعريرة تسرى فى أبدانكم عند مجرد ذكر اسمه» (ص ٧٥٩) !

وياله من تخويف يتجاوز أى تعليق .. لكننا نورده هنا لنوضح غرضه بدءا من التراث وصولا إلى الله عز وجل ، فإن هدفه هو التشكيك والتخويف لينفر القارئ .

أما إشاراته إلى المستشرق الكبير «نولديكه» ـ على حد زعمه ، والذى بدراسته للقرآن «قد شرح الأسلوب والقواعد والمفردات مشيرا إلى ثقل الأسلوب هنا وإلى التكرار هناك ، وإلى عدم الصحة ، وبعدها بقليل إلى إيجاز أو حذف، بل وإلى أخطاء» (ص ٧٣٨) ، فيكفى جاك بيرك استشهاده بمن قام بأكبر تجريح لمعانى القرآن وأسلوبه ، وتكبيره كمستشرق ، ليكون متضامناً معه فى الرأى ، حتى وإن تظاهر بالاختلاف معه .. فكلنا ندرك كيفية التهرب من تحمل مسئولية الكلمة وإلصاق الرأى الجارح باستشهادات للأخرين ..

غير أن تلاعب جاك بيرك بالألفاظ يصل إلى الذروة عندما يتحدث عن وجهة النظر التطورية (évolutionniste) ، مستشهدا بآية : «لكل أمة أجل» (١٠/٤٩) ، وكيف أن النظام يزيد (فى تطوره) بأن يقول : «لكل أجل كتاب» (١٣/٣٨) .. ثم يضيف قائلا : «بما أن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبؤات وفقا لهواه (à son gré) ، أقصد هذا النقل المتتالى والجزئى للأصل ، الذى يظل دائما أبدا فى صدره » (١٣/٣٩ . والطريف أنه يضع رقم السورة والآية كتصديق لأسلوبه ، ثم يواصل قائلاً : «هل يمكننا التمادى فى دفع

النسبية التاريخية لدرجة قلب كلمات التضمين القرآنى ونقول : (لكل كتاب أجل)» ؟ ثم يضيف باللاتينية قائلاً : «إننى لأرتجف وأنا أقولها ! ترى أى مفكر حر تجرأ على هذا اللعب الإجرامى بالألفاظ ؟ لا تبحث : إنه الخليفة أبوبكر» (ص ٧٨٧) .

ثم يضع هامشا مصدقيا لتوثيق كلامه يورد فيه : الطبرى ، المجلد ١٣ ، صفحة ١١١ ، السطر ١٤ .. ويا للدقة التى يتظاهر بها !

لنضع جانبا الاستخفاف الذى تناول به مضمون الآية «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٣٩/١٣) ، ليكتبها : «إن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبؤات وفقا لهواه» ، ثم يخفف من وقعها قائلا : «أقصد هنا النقل المتتالى والجزئى للأصل الذى يظل دائما أبدا فى صدره» .. لندع كل هذا جانبا ، ونرى تعبير «لكل كتاب أجل» بالصورة التى أوردها ، وهى :

"pour tout Ecrit, un terme"

ووضعه لكلمة كتاب Ecrit بالحرف الكبير تعنى : أن القرآن هو المقصود، وأن القرآن له أجل !! وإن كان ذلك هو ما يتمناه المستشرق «النزيه» جاك بيرك ، فلماذا يلصق أمنيته الشخصية بأبى بكر ، مستشهدا بالطبرى ، وهو يعلم من ناحية أنه ما من قارئ سيقوم ليتأكد من المرجع الذى ذكره ، على الأقل من باب الثقة فى مكانته العلمية ، ومن ناحية أخرى ، أنه يعلم يقينا أن سيدنا أبا بكر لم يقلها بهذا المعنى ، ولن أقول للباحث «الأمين» جاك بيرك أن يكلف خاطره وينظر فى التفاسير ليفهم معناها المشروح ، وإنما ـ وهو أضعف الإيمان ـ أن ينظر فى أبسط قواميس اللغة العربية ليرى أن كلمة «الكتاب» تأتى أيضا بمعنى : الحُكم ، والأجل ، والقدر .

وذلك إذا ما كان فعلاً لايعتمد على اللعب «الإجرامى» بالألفاظ .. ولايعتمد على أن أحداً لن يقرأ ويكشف مغالطاته .. أم علّ ذلك هو ما يسميه چاك بيرك «الخوف والحشمة وتقديم ترجمة جيدة وأمينة» على حد زعمه بمجلة الجهاد؟! (يناير ١٩٩٠) .

ومن كل ما تقدم ـ وهو جد قليل من كثير ـ يمكن أن نخرج بالنقاط العامة التالية :

* ما من شك فى معرفة چاك بيرك باللغة الفرنسية ، وقواعدها ، ومفرداتها الحديث منها والقديم البالى .. إلا أنه عادة ما يستخدم صياغة جد ركيكة معقدة ، بزعم الالتزام بترتيب مفردات صياغة النص القرآنى ، الأمر الذى يؤدى إلى صياغة فرنسية ركيكة ثقيلة الفهم، أو لامعنى لها . وكثيرا ما يستخدم مصطلحات سقط استعمالها تماما فى الفرنسية ، مما يضفى على النص غموضا وإبهاما لا داعى ولا مبرر لهما إلا تشويه النص القرآنى ، فمن أبجدية الترجمة التصرف فى ترتيب الكلمات فى الجملة ومقاطعها لتوضيح المعنى بعبارات مفهومة .

* وما من شك ـ افتراضا ـ فى معرفة چاك بيرك باللغة العربية وقواعدها وعلوم بيانها ، إلا أن ترجمته للعديد من الآيات تكشف عن عكس ذلك ، أو تؤكد سوء نيته ، فما من صفحة تخلو من أخطاء متفاوتة الحدة ، أو المستوى، ومنها ما يمس أركان الإسلام ، مثال : ترجمته لكلمة «الزكاة» بكلمة «التطهر» (purification) ، على الرغم من شيوع ترجمتها فى الفرنسية بعبارة: «الضريبة الشرعية» ، أو يكتبونها كما يجب بالأحرف اللاتينية zakât ، ثم توضع عبارة لشرحها .

* كثيراً ما يبيح لنفسه خلط ، أو تغيير صيغ المتكلم ، كأن يضع كلام الله عز وجل على لسان آخر أو آخرين (مثال : سورة «الكهف» وغيرها) . أو يقوم بتغيير صيغة المتكلم الفرد إلى صيغة الجماعة ، أو العكس . وأى كاتب بأى لغة يدرك معنى هذا التلاعب وإمكانياته فى تحريف الكلم .

* كثيرا ما يسمح لنفسه بتغيير صيغ الأفعال من مضارع إلى مستقبل أو إلى ماض .. ولانعتقد أنه أمر مسموح به فى مجال الترجمة بعامة ، نظرا لما ينجم عنه من تغيير المعنى ، على الرغم من تبريره لذلك التصرف من أجل سهولة الترجمة ، أو سلاسة الصياغة فى هوامشه العديدة .

* إدخال الكثير من العبارات للربط بين الآيات ، وهى عبارة غير واردة فى النص القرآنى ، ولاضرورة لها ، إلا أنها تضفى «أنسنة» وقتية على النص لاتتفق وتنزيل القرآن ..

* كثيرا ما يختار كلمات ، أو عبارات بعيدة تماما عن المعنى الوارد فى الآية ، ثم يبادر بالإعلان فى الهامش عن عدم رضائه عنها ، أو عدم اقتناعه بها!! ومع ذلك يتركها بلا تغيير ، أو يستند لتبريرها إلى الطبرى ، أو الزمخشرى أو غيرهما من المفسرين .

* كثيرا ما يقول فى هوامشه إن المفسرين قد حاروا فى معنى عبارة معينة؛ لذلك يبادر سيادته بإيجاد العبارة السليمة ، وإن كانت محرفة وغير مرضية فى نظرة .

* كثيرا ما يؤدى سوء نيته ، أو عدم فهمه للآية إلى اتخاذ موقف غير أمين ليقوم بترجمة انتقامية ـ إن أمكن القول ـ مثال : عدم فهمه لآية «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون» (البقرة (١٣٨) .

فترجمها بمعنى الصباغة وتغيير اللون ، وأن الله سبحانه وتعالى خير من يقوم بالصباغة ! مبررا ذلك فى الهامش قائلا : «لاشك أنها إشارة ساخرة إلى التعميد المسيحى. إلا أن الإيحاء القوى لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير...، ومع ذلك فالأفضل فى نظرنا أن نترك للتشبيه كل قوته»(ص ٤٤).

ولاداعى للقول : إنه لاتوجد هناك أية صلة بين هذه الآية والسخرية ، أو حتى المساس من قريب ، أو بعيد بالتعميد المسيحى !

* كثيرا ما يحاول اختلاق الغرض ليدس بعبارات تلفت نظر القارئ إلى تلميحات ، أو إشارات إلى المسيحية غير واردة فى النص ، أو لاتتضمن المعنى الذى يشير إليه .

* كثيرا ما يضع هوامش لغوية بحتة ، يستعرض من خلالها مدى معلوماته النظرية بقواعد اللغة العربية وعلومها المتعددة لإيهام القارئ بجديته وأمانته العلمية .

* فى بعض الأحيان يشير فى الهامش إلى الموضع المكانى للآية من السورة بعامة ، أو يحلل صياغتها وفقا لبحور الشعر ، وهو ما لايتفق والنص القرآنى ـ الذى ليس شعرا ـ حتى وإن أضفى ذلك مسحة علمية محايدة الزعم على مايكتب ..

* لايسع المجال هنا لتناول الأخطاء الشديدة الوضوح سواء للعبارة ذاتها أم لزعمه محاولة نقل الإيقاع اللغوى العربى إلى الفرنسية . فالمعروف أن اختيار المترجم للفظ يتم بناء على وضوح المعنى ، وليس طمسا لمضمونه ، أو بناء على إيقاعه ، خاصة وإن كان هذا «الإيقاع» يؤدى إلى اختيار كلمة بعيدة كل البعد عن المعنى الوارد فى الآية .

* لايمكن للقارئ أن يغفل الاستخفاف الذى يتناول به النص القرآنى ، إن لم يكن الاستهتار ، على الرغم من كل ما حاول إضفاءه من جدية وأمانة شكلية على ترجمته .

ولايسعنى إلا أن أضيف إلى ما تقدم من نماذج : أن أى فرد من الملايين الستة المسلمة التى تعيش فى فرنسا ولاتعرف أو لاتجيد العربية ، بينما تتعرض للضغوط المختلفة من جانب الحكومة الفرنسية ووزير داخليتها ومحاولة دفعهم إلى الهجرة أو إلى قبول الذوبان فى المجتمع الفرنسى بعاداته وعقائده .. إن أى فرد يواجه الاقتلاع من واقعه الذى لم يعد يعرف سواه ، بجانب الضغوط الأخرى وذلك بسبب إسلامه ، ويقرأ القرآن فى ترجمه چاك بيرك ، المعروف بصداقته للعرب والتى توجها بعضوية مجمع اللغة العربية ، أى المفترض أنها تكون أكثر الترجمات أمانة وقربا للنص القرآنى ، ثم يقرأ هذا الكلام وبهذه الصياغة ، وهو فى مثل هذه الظروف المصيرية لاستخف بذلك النص وابتعد عنه!

فهل ذلك هو المطلوب من قراءة ترجمة معانى القرآن ، أم أن تؤدى قراءته إلى الإيمان وتثبيته ؟

لقد اختار چاك بيرك التواطؤ مع هجمة الغرب الشرسة الظالمة ، وجاهد بكل معلوماته ، وقدراته للتشكيك فى القرآن وتنزيله وتدوينه ، والتشكيك فى عقيدة التوحيد فى الإسلام ، وأن الإسلام ليس دين دنيا وآخرة ، وأنه ليس بالتصويب الذى يجبّ الديانتين التوحيديتين الأخريين وخاتما للرسالة ، بل إنه أقل عنهما ، ولايصمد لتحديات العصر وتقنياته ، أو متطلباته .. لقد أختار چاك بيرك التواطؤ مع ذلك المخطط الذى أقره المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى عام ١٩٦٥م وهو «توصيل الانجيل إلى كافة البشر» ... وهى الصيغة

المضخمة المعلنة آنذاك لعبارة «تنصير العالم» التى أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى صراحة عام ١٩٨٢ والتى أصبحت تمثل المحور الرئيسى لكافة خطبه الرسولية البابوية ـ وهى عبارة تعنى وتواكبها عملية اقتلاع الإسلام التى يحاولها الغرب حاليا بكافة الوسائل وفى كافة المجالات .. بل إن عملية الحوار المزعوم مع الديانات غير المسيحية التى أقرها نفس ذلك المجمع لاتعنى فى نظر هذا البابا إلا كسب الوقت حتى تتم عملية التنصير !! ..

لقد اختار چاك بيرك الخيانة ، وجاهد ليغلفها بمفردات العلوم اللغوية الحديثة المتحذلقة ، وباع ضميره وأمانته العلمية وصداقته للعرب والمسلمين بثمن بخس ، ثم ها هو يحاول التمسك بتلابيب ما باعه درءاً لموقف مخزٍ أو ذرا للرماد فى الأعين ، بالاحتجاج الملتوى حينا ، وبزج من يدافعون عنه جهلاً ، أو عن عمد ، فلعلهم لايتصورون أن من فى مثل مكانته العملاقة يمكنه أن يسقط سقطة عملاقة!

فلا يجب أن نغفر له طعنته هذه بزعم مواقفه الإعلامية ، وأحاديثه السيارة، أو خضوعا لأية ضغوط ..

إن المرحلة المصيرية التى يعيشها الإسلام والمسلمون حاليا تحتم علينا جميعا ، من الآن فصاعدا ، أن نتضافر للدفاع عن القرآن ونصه المنزّل ، ضد الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام حاليا على الصعيد العالمى .. فإصراره هو وغيره من المتواطئين على فرض الحداثة والعصرية لدراسة القرآن، وإعادة صياغته ليتمشى مع العصر ، ومطالبتهم بفصل شئون الدين عن الدنيا لايتنافى مع العقيدة الإسلامية فحسب ، وإنما يخالف حتى ما قامت به الكنيسة الكاثوليكية لضرب الحداثة ـ وهو العلم الذى وجد أساساً لدراسة

النصوص الإنجيلية وتطبيق العلوم التاريخية والنقدية عليها ، لعدم توافق معطياتها والاكتشافات العلمية . فكيف يفرضون على نص القرآن المنزّل ما رفضوا تطبيقه على نصوص ثبت نسخها وتحريفها على مر الزمان ؟!

** وختاماً ، لايسعنى إلا أن أقول لمن «يستنكر ويرفض بشكل قاطع كلمة مستشرق» (الجهاد مايو ١٩٩١) لارتباطها بالمغالطات والتضليل .. أقول لمن يقول عن نفسه : «أنا مؤرخ اجتماعى وباحث متخصص فى شئون العالم الإسلامى» (المرجع السابق) .. أقول له : ياكبير المستشرقين ! إن أبجديات المؤرخ الاجتماعى والباحث المتخصص الالتزام بالأمانة ، والصدق، والموضوعية .

** لذلك أقول لكبير المستشرقين : لقد هويت يامن كنت عملاقا .. ويا لها من هاوية كشفت عن وجهيك !

** إنه يتعيّن عليك أن تبدأ المشوار من جديد ، بأن تعيد النظر فى الثقة التى منحها لك مجمع اللغة العربية بمصر ، وأسأت استخدامها باستغلالها كتصريح لنشر كتابك بكل ما يتضمنه من فريات : فكل ما ورد فى بحثنا هذا لم يكن إلا مجرد نماذج سقناها على سبيل المثال .. مجرد شذرات تدلل بها على بعض مما رأيناه ، وماخفى كان أعظم ..

** نعم ، أقول لجاك بيرك أن يبدأ المشوار من جديد ، بتعلم أبجدية البحث العلمى ، وأبجدية الأمانة العلمية ، وأبجدية الترجمة برمتها .. وقبل ذلك كله ، أن يتعلم أبجدية احترام معتقدات الآخرين ومقدساتهم .

** عذر أقبح من ذنب ! **

بعد عامين من صدور ترجمته المغلوطة لمعانى القرآن (ديسمبر ١٩٩٠) ، قام السيد چاك بيرك بإصدار كتاب جديد ، فى مارس ١٩٩٣ ، يحمل نفس العنوان الذى كان قد وضعه لتلك المقدمة الطويلة (٨٢ صفحة) ، المليئة بالفريات ، والتى تناولنا بعضا مما ورد بها فى البحث السابق .. أى أن هذا الكتاب الجديد والذى صدر بعنوان : «إعادة قراءة القرآن» . هو عبارة عن أربع محاضرات وخاتمة ، كان قد ألقاها فى «معهد العالم العربى» بباريس .

ويقول البيان الذى على الغلاف الأخير لهذا الكتاب ، وعادة ما يكون بمثابة تقديم بقلم المؤلف :

« قام چاك بيرك ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ الفخرى بالكوليچ دى فرانس ، وعالم الاجتماع والمستشرق ، الذى يطلق عليه أحيانا «العابر بين الشاطئين» بتقديم عدة محاضرات بمعهد العالم العربى حيث راح يشرح لجمهور عريض الكتاب المؤسس للإسلام وذلك بعد نشر كتابه المعنون: «محاولة لترجمة القرآن ،

«وفى مواجهة تفكك ظاهرى قام چاك بيرك بمضاهاة عبارات مضبوطة مدهشة تكشف عن تكوين من الوحدات المتشابكة ، أن الرسالة تجمع بين الإبلاغ المطلق ومعالجة المعطيات المحددة : وبذلك استقرت القيم الدائمة التى يمليها فى الزمن البشرى ، وفى الوقت الذى يلوّح فيه البعض بامتداد شريعة

جامدة ، أو مستقاة ، فإن جاك بيرك يؤكد على نداء النص إلى العقل ، وانفتاحاته إلى التجديد . وأخيرا فإن اللغة التى توصف تقليديا بأنها لاتقلد ، تكشف عن أنها تغيير للغات العربية الحقيقية إلى نسق لغوى له معان مميزة .

«إن إعادة قراءة القرآن ليست مقدمة بقدر ما هى إرشاد يدعو للتعرض بالعقل والقلب لواحد من نصوص ذلك التراث العالمى الذى كان چول ميشليه يرى فيه إنجيل الإنسانية» .

واختصار هذا التقديم الذى يبدأ بقراءته كل من يمد يده ليشترى الكتاب، يتضمن مايلى :

* الإشارة إلى التفكك الظاهرى لنص القرآن ، وأن المؤلف قد أشار إلى عبارات مدهشة .

* الرسالة تجمع بين المطلق والزمانى ، وهو ما سيخرج منه المؤلف بأن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان بما أنه مرتبط بأحداث ووقائع زمانية محددة .

* إن الذين ينادون بشريعة ثابتة جامدة ، يدعوهم المؤلف إلى استخدام العقل لتغيير النص القرآنى ومعطياته ..

* لغة القرآن المشهورة بالإعجاز ليست بمعجزة وإنما هى انعكاسات للغات العرب ، وإن كان لها ملكات ، أو معان مميزة .

* إن هذا الكتاب (أو هذه المحاضرات) هو إشارة وتوجيه لتغيير تفسير القرآن بالعقل والقلب !

وإذا ما أعدنا النظر فى هذه النقاط الخمس ـ بغض الطرف عما تتضمنه من معان ـ نجد أن اثنتين منها تدعوان صراحة إلى تغيير النص القرآنى ،

خاصة وأنه غير صالح لكل زمان ومكان ، وبالتالى فهو لايتمشى مع متطلبات العصر الحالى ، على حد ما كرره المؤلف فى المقدمة وفى المحاضرات ، وهذه هى بعض المحاور الأساسية التى أوردها فى كتابه الأخير ، والتى سنتناولها بشئ من التفصيل .

والمحاضرة الأولى بعنوان : «مداخل إلى بنية» ، يقول فيها المؤلف چاك بيرك إنه سيتناول «موضوع القرآن بنوع من التقمص المفترض فى الإخلاص والانتماء ، ولاعلاقة له بالتحذلق المتعجرف الذى يلجأ إليه كثيرون من المتخصصين فى هذا المجال» .. موضحاً أنه «سوف يستبدل التبحر بالتأمل والتحليل والمصطلحات .. أى أنها إعادة قراءة اعتمادا على المكتسبات المنهجية وعلى الحس الذاتى لكى يتعرض لنصوص كبيرة فهمتها الأجيال السابقة بطريقتها» .. مما يعنى أن فهم الأجيال السابقة غير مبنى على الأسس العلمية والمنهجية ، وأنه فهمها فهما صحيحا اعتمادا على هذه العلوم الحديثة ليشرحها لنا ، ليكون شرحه إرشادا للتغيير المطلوب .

ويواصل المؤلف قائلا إن مثل هذه القراءة لايمكنها أن تغض الطرف عن «شاعرية» هذه «القصيدة» (التى هى القرآن) : «ولن نغفل هذا الجانب الصوتى للقرآن ، ذلك النص الذى يتصاعد إلينا كعمود من الأصوات ، منذ القرن السابع الميلادى ، على بعد قرن تقريبا من چوستنيان ، وهى أصوات حاملة للإيمان والتصرفات ، إيمان مئات الملايين من البشر» .

ورغم عبارات التغنى ، فإننا نخرج من هذه البداية بأن القرآن فى نظر جاك بيرك عبارة عن قصيدة شاعرية صيغت ، أو تم تجميعها ـ كما سيقول

فيما بعد ـ على مقربة قرن من عصر ـ جوستنيان ، ذلك الإمبراطور الرومانى الذى تأثر به القرآن وبالقوانين التى أخذها عنه ..

ثم يحدد نقطة ثالثة بأنه «غير مسلم وغير معاصر لنزول القرآن .. إلا أن لذلك ميزته من ناحية أخرى ، «فالعين بحاجة الى المسافة لتدرك ما تراه بوضوح» أى إن ذلك سيسمح له بإدراك المآخذ التى لم يدركها المسلمون .

وهكذا تراه ـ منذ البداية ـ يتمسك بموقف بعينه ينسج من خلاله نفس الأفكار التى طرحها فى المقدمة السابقة ، وإن كان بشئ من المواربة أحيانا وبكثير من السفور أحيانا أخرى .

فبدأ بإصراره على استخدام لفظة «نزول» (كنزول السلالم) ، موضحا «أن القرآن لم ينزل فى شكله المطبوع الحالى ، وإنما فى أجزاء غير متساوية وفى أوقات متقطعة ، بلا أى انتظام ، سواء فى مكة أو فى المدينة من ٦١٠ ـ ٦١٢ إلى ٦٣٢ ميلادية» ، مصرا على التشكيك فى تنزيله وتدوينه قائلا :

«إن الذين يتناولون هذا التجميع (أى القرآن) بلا إعداد مسبق يشعرون بالإرهاق من كثافة وعدم ترتيبه الظاهرى . فكثير من الغربيين يتحدثون عن تفككه : لأن الخطاب ينتقل من موضوع إلى آخر بلا استكمال ودون أن ينتهى .. ونفس الموضوع يظهر هنا وهناك بلا انتظام واضح ، ومن المحال الاهتداء فى مثل هذا النص الزاخر الذى لاتوضحه لا عناوين السور ولا الوقفات التى يقوم بها المترجمون عشوائيا ، ولا البيانات ، أو الفهارس التى يزعمون التزود بها إجمالا ، على الرغم من جمال بعض المقاطع ، يقال إن قراءته مخيبة للآمال» ..

هذا هو رأى السيد چاك بيرك حتى وإن وضع عباراته فى صيغه المبنى للمجهول ! ثم يبادر قائلا فى الفقرة التالية : «ومع ذلك ، إذا ما تعمق

الفحص سيعاد نظر فى هذه الانطبعات السطحية .. فتناثر الموضوعات هذا متعلق بوحدة إجمالا ، وكل هذا التناثر للكلمات والصور والأحداث يقودك إلى خطوط تتلاقى ... فالقرآن أشبه ما يكون بشكل متعدد الأسطح : وحدة واحدة متعددة الوجهات أشبه ماتكون بذلك الشكل ذى الاثنى عشر سطحا ، أو الشكل الشهير فى الهندسة الإسلامية حيث ـ يقال ـ إن المشتغلين بالكيمياء قديما كانوا يرون فيه تشكيلا للكون» ... وفى النهاية يوضح أنه يمكن تلخيص القرآن فى التعبير عن وحدانية الله .. «وأن الـ ٦٢٠٠ آية تقريبا يمكن تلخيصها فى سورة الإخلاص» .

ثم ينتقل إلى مدخل آخر وهو تقسيم القرآن إلى «١١٤ سورة من كافة الأحجام والمقاسات» ... وهذا التقسيم يصدم منطق بعض القراء ؛ لأن بعض السور تتضمن ٢٨٦ آية بينما غيرها لايتضمن سوى ٤ ! أى أن هناك عدم توافق مهول بين السور ، والأكثر من ذلك أنها مكثفة المضامين وعادة ما تتناول أكثر الموضوعات اختلافا .. والمجلد الذى أمامنا لم يلتزم بذلك الترتيب الزمنى والذى سأتناوله على التو ، وإنما أعيد تكوينه فى مسطح واحد متتالى» .

وبدلا من التشكيك فى تنزيل وترتيب القرآن ، كان الأجدر بالسيد المستشرق أن يفتح ولو كتاب الجهشيارى المعنون : «كتاب الوزراء والكتاب» ليطالع كيف كان يتم تدوين القرآن ، أو كيف كان يكتب الوحى فور تنزيله وكيف ثبت بلا تحريف ..

وبعد توضيح كيف اعتمد الاستشراق على الترتيب الزمنى للقرآن «ليتبيّن تطور مفهوم الله بناء على التأكيدات المتتالية الواردة فى النص» يقوم بشكر ذلك الاستشراق على «أنه أدخل النقد فى مجال ترك بشكل مبالغ فيه بزعم أنه حجة» ، ليخرج من هذه النقطة إلى ضرورة إخضاع القرآن لدراسة تجمع بين علم المنطق ، والرموز والعلاقات ، والصوتيات ، الأمر الذى لم يتم للآن .

وبعد أن تناول القرآن من حيث الشكل ، انتقل إلى المضمون قائلا إن به «نفس الفوضى الشهيرة المشار إليها والتى تخبط العديد من المستشرقين . نعم ، كل سورة من السور متعددة الموضوعات . وذلك هو نفس نظام الشعر الجاهلى. وكل جزء من السورة هو نفسه متعدد الأبعاد ، وكثيرا ما يكون تكراراً . وذلك أمر حقيقى إلى درجة أن ريتشارد بل ، وهو واحد من أكثر المستشرقين الإنجليز تبصراً ، قد افترض فى دراسة له عام ١٩٣٧ ، أن اللجنة التى شكلها عثمان لتجميع القرآن قد عثرت أحيانا على وثائق تتضمن عدة تنويعات لنفس السورة ، ونظراً لعدم جرأتهم على الاختيار بينهما فقد ألصقوها تباعاً ، الأمر الذى يفسر التكرار الذى يلاحظ فى بعض أماكن من القرآن والقفزات المتتالية فى المعنى ، وهو تفسير من ضمن التفسيرات» .

وانتقل بعدها إلى النظام التزامنى يتعارض مع النظام التركيبى التعبيرى .. لذلك يرى سيادته «أن نسيج القرآن يذكره بذلك السجاد المغربى الذى تظهر فيه نفس الوحدات اللونية فى الوسط وفى الأطراف» !

وهنا لايسعنا إلا أن نقول له : إذا لم تستح فافعل ما شئت .. فعلى الرغم مما فى عباراته من استهتار يكفيه تشبيهه القرآن بالسجاد ، والسجاد مداس يوطأ بالأقدام .. وإن لم يكن بذئ النية إلى هذا الحد لاختار عبارة أخرى ، لكن الإسفنجة تنضح بمحتواها !.

ومرة أخرى يعود إلى صلاحية القرآن قائلا إن قراءته المتأنية تكشف عن أن محتواه يدور حول مجموعتين من الأبعاد : «بُعد الدوام وبُعد الظروف» وأبعاد الدوام هى تلك التى تتعلق بالأخرويات ، أما أبعاد الظروف فهى التى تتعلق بالإشارة إلى الأحداث الزمانية لوقت التنزيل مثال وصف معركة بدر ،

أو «الأجزاء المحتشمة المتوارية لكنها واضحة ومتعددة والمتعلقة بحياة النبى ، وأجزاء متعلقة بظاهرة ، أو بفينومنولوچيا التنزيل» ! وهو ما سيستند إليه أكثر من مرة ليثبت عدم صلاحية القرآن لكل زمان ومكان ..

وينهى هذه المحاضرة الأولى باكتشاف مدوى «لم يسبقه إليه أحد فى مجال الدراسات القرآنية لافى الشرق ولا فى الغرب» ـ على حد قوله ـ حول تناظر بعض الكلمات فى بعض مخطوطات القرآن ـ مستشهدا بإحدى مخطوطات المسجد الكبير فى تونس .

وكالمعتاد ، حتى فى الإعلان عن اكتشافه المتفرد هذا ، لايدع الفرصة تفوته للتأكيد على تشكيكه فى تنزيل وترتيب القرآن قائلا : «إن نظام هذا المخطوط لايتبع مطلقا ترتيب النزول فلا بد إذن أن هذا التناظر قد تحكم فى تجميع الأجزاء المتناثرة التى تم تنظيمها بأمر الخليفة عثمان ، وأنها تتفق ونظام نظرى معد مسبقا .. وإجمالا ، سيقول المؤمن : إنها معجزة أخرى فى كتابه المؤسس ! أما الباحث العلمانى فسيرى فيها بلا شك حالة محدودة من حالات النصوص المنتظمة التى تتحدث عنها الدراسات اللغوية الحديثة» .

ثم يستشهد بأهمية هذه الدراسات المستقبلية ، ولايفوته توجيهها فى مجالات الإيقاع ، والنغم ، والتنقيط ، وعلامات الوقف إلخ .. مختتما المحاضرة قائلا بكل فخر : «ها هو مبحث جديد لم يتم بعد ولايوجد ما يمنع من الشروع فيه . هيا .. إلى العمل» !!

وتدق الموسيقى وترتج القاعة من هتاف الحاضرين وتصفيقهم الحاد .. وهنا لايسعنا إلا أن نسأل سيادة الباحث العلمانى : ألم يدرك من نفس شكل المخطوط وألوانه أن اكتشافه الجديد المتفرد هذا ليس بجديد ؟! ألم يلفت نظره

أن مجرد كتابة المخطوط باللون الأسود والكلمات المتناظرة باللون الأحمر ـ كما قال ـ أن ذلك يعنى أن الخطاط على الأقل ـ مدرك لهذه القضية ، أو لهذه الإمكانية بدليل أنه كتبها بلون مخالف ؟!

يؤسفنا أن يكون ذلك هو مستوى الاكتشافات العلمية العلمانية لهذا الباحث ، فموضوع تناظر بعض الكلمات فى بعض المخطوطات القرآنية يمثل فنا من فنون الخط العربى ومهارات الخطاطين . وقد نشأ هذا الأسلوب مع الخطاطين الأتراك منذ القرن السادس عشر الميلادى . وكان العالم التركى سعيد النورسى وشيخ جماعة النور بتركيا ، من الذين أشاروا إليه ولهم دراسات فيه .

ومن نماذج هذه المخطوطات مصحف مطبوع بالمدينة المنورة تتناظر فيه كلمة الجلالة إذا ما بدأ بها أول السطر فى بداية الصفحة ، وهناك مصاحف أخرى تتناظر فيها كلمة الرحمن ، أو كلمة الرب .

وتدور المحاضرة الثانية حول موضوع «الزمان فى القرآن» أو كيفية إدخال الزمان فى تبليغ المطلق» أى أنه سيدرس «إلى أى مدى سينتشر هذا المطلق الذى تم تبليغه للبشر ، وإلى أى مدى سينتشر هذا الخلود المهاجر فى الزمن ؟ إلى أى مستوى من النص ؟ إلى أى مدى من الحلول المقترحة ، أو المملاة . والمؤسسات الناجمة عنها والأدوار الاجتماعية والتصرفات ، بل والشخصيات التى استندت إليه ـ أو مازالت تستند إليه فى الإسلام ـ وهى بعض المشاكل التى أثارها باقتضاب ..

ولقد اتخذ من الزمان مفرداته كالدهر ، والحين ، والعصر ـ (الذى يرى أنها عبارة مشتقة من العصير ومن فعل يعصر) !! والمصير ليصل إلى كلمة

«الأجل» التى استخدمها فى المقدمة المرفقة بترجمته لمعانى القرآن ليفترى على لسان أبى بكر قائلا «إن لكل كتاب أجل» .. إلا أنه هنا قد أضاف عبارة «إن الأجل المحدد للقرآن هو ذلك الزمن الباقى للإنسانية منذ تنزيل القرآن إلى يوم القيامة» !! الأمر الذى يكشف عن سوء نيته المبيت ، إذ فعل كمن يقول «لاتقربوا الصلاة» ويبنى استنتاجاته على ذلك دون أن يستكمل فيه الآية التى تنص على الحالة بوضوح ولانملك إلا أن نتساءل بما أنه يعرف بقية العبارة : لماذا لم يوردها فى المقدمة وإنما بترها ليتلاعب بأسماء الآخرين ؟! إنه مجرد نموذج من النماذج المتعددة الواردة فى هذه المحاضرات ، والتى حاول خلالها التنصل أحيانا مما زج به سابقا ، وإن كانت عباراته المتلفعة بمسوح العلم والموضوعية قد فضحته حتى «النخاع» لكى نستخدم عبارة عزيزة عليه !!

وفعل نفس الشئ عندما تناول المعطيات الواردة الخاصة بالقصص والتى «تقع فى إطار أسطورى وهمى وخيالى ، لنسارع بالقول أنه لايوجد من جانبنا أية سوء نية ، أو عدم احترام فى تحديد هذه الأهداف الثلاثة والتى يتعيّن أن نميّز بينها بالقدر المطلوب» . وعند تعرضه لسورة الكهف يقوم بتخفيف تلك العبارة السابقة التى شبّه فيها القرآن بالأساطير وبمسرحيات العبث عند كيركجارد فخفف من وقعها قائلا : «إن الأفعال الاستفزازية التى يقوم بها الخضر ينجم منها نوع من العبث على طريقة كيركجارد» !!

أما صفة «ذو القرنين» فى هذه السورة فلم يترجمها بمعناها الذى يدل على السيادة : «القرن من القوم : سيدهم» ، ولاحتى بمعناها التاريخى فى الديانات المصرية ، والهندية ، واليونانية القديمة ، حيث القرنان يرمزان إلى قوة الآلهة ، وإنما ترجمها بمعناها القبيح الشائع فى اللغة الفرنسية كما فى اللغة

العربية بمعنى «القرنان» كنعت سوء للرجل الذى لا غيرة له على أهله ! فكتبها "le Bicornu" وكان لزاماً عليه أن يترجمها قائلاً :

. "aux deux cornes"

عبارات معسولة أو منمقة تتوسط الطعنات .. ويا لها من موضوعية !

ومرة أخرى يعود إلى قضية القرآن ، وهل هو «مخلوق أو غير مخلوق» ؟ قائلا : «إن القرآن غير مخلوق وفقا للتراث» وأن «هذا الكتاب غير المخلوق وفقا لإسلام الأغلبية (وكأن هناك عدة إسلاميات ، أو إسلام للأغلبية وآخر للأقلية) ، يحمل مئات التلميحات الزمانية شديدة التحديد ، المميزة ، والتى يمكن تأريخها ... وعندما يتناول (القرآن) إحدى هذه المناسبات عادة ما يقدمها بأسلوب تلميحى : وهو شكل غير دقيق بالمرة تضعه الأبحاث المتخصصة تحت بند «المبهمات» ــ أى الأشياء غير الواضحة ... والتراث ، أيا كانت منابعه ، يجاهد لمداراة مختلف ما يحتوى عليه من عدم دقة ... وقد أشار السيوطى إلى حوالى ٢٥٠ من هذه المبهمات» .

وتستمر محاولاته للنيل من النص القرآنى بكل ما به من دقة مزعومة وأمانة علمية وتبحر ليثير قضية النسخ فى القرآن مستندا إلى الآية ١٦٠ من سورة البقرة : ﴿ **مانتسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها** ﴾ قائلا : «تحدث فى بعض الأحيان أن يتضمن القرآن آيات تم استبدالها بأخرى إلا أن القرآن قد أحتفظ بالمجموعتين . وقد يدهش الإنسان الغربى من هذا الوضع ، لكن المذهب الإسلامى لايقدم تبريرات تذكر لهذا الوضع . وهو موقف كلاسيكى فى العالم العربى والإسلامى .. واختصاراً لقد تمت عملية النسخ فى أكثر من

نصف السور أيام التنزيل نفسه ، وجرى ذلك فى مجال فى غاية الأهمية وهو التسامح مع المعارضين ، وقد استبدلت الآيات لتوضع «آيات السيف» التى تطالب بموقف أكثر صرامة . إلا أننى أعترف بأن الخلافات قائمة أيضا فى هذا المجال» .

وأسباب التنزيل والأحداث الزمانية من الموضوعات التى أثارها أكثر من مرة مثلها مثل قضية الشعر الجاهلى ، ليؤكد على ارتباط القرآن بأحداث محددة غير صالحة لكل زمان ومكان . وهنا يستشهد بحكاية الرسول عليه الصلاة والسلام وزواجه من زينب ليخرج منها بتأكيده أن آية تحريم التبنى قد نزلت لتبرير هذا الزواج قائلا : «من الصعب العثور على مثال أكثر وضوحا لأسباب معيار تصاعدى بواقعة عارضة إنسانية وشخصية بهذا الشكل ! إنه أمر يصعب إدراكه لشخص معاصر يحاول الفهم ويضع نفسه فى موضع النقد والشك من الشرق» .

ويخرج من هذه النقطة بأن «عملية التنزيل من ناحية المطلق إلى الإنسان عملية معقدة فى سياقها وفى انعكاساتها التاريخية ؛ إذ تتضمن توريطات فى غاية التعقيد ... إن الزمانية ستتغلب مع الوقت ، مع الابتعاد عن منابع الرسالة وعما يطلق عليه اللغويون «الراسل» ! مؤكدا أن الرسالة السماوية لايمكن أن تصيب المجتمع الإنسانى بالتحجر ـ وإن كان قد استخدم لفظة «التبلور» .. فالبلورات ـ رغم جمال العبارة ـ هى جزئيات متحجرة !

ثم يعرب جاك بيرك عن اعتراضه على ثبات النص القرآنى وثبات الالتزام به «إذ إن وجهات النظر المغايرة المليئة بالجمود والتى ترمى إلى عمل توليفة بين قدسية القرآن والمؤسسات الناجمة عنه ، والاستنباطات المستمدة منه ، بل

والأشخاص القائمين على ذلك لانعتقد أن لهم أى تبرير عقائدى لما يفعلونه» ! موضحا كيف أن رأيه هذا يماثل فى أمانته رأى أكثر علماء الإسلام القدامى أصالة ؛ لأنه يرى «أن الوحى القرآنى يدعو إلى الحياة التى هى حيّة، لأنه يستند إلى القيم الراسخة» ولذلك أيضا يدعو إلى عقل الإنسان ويضعه فى موضع المسئولية ، فبدلا من التوقف فى منطقة ، أو شعب ، أو فترة ما ، إنه يزعم صلاحيته لكل الشعوب فى تحولها بفعل الزمان وفى تأثيرهم على الزمان» .. فبما أن القرآن يدعو إلى الحياة ، والحياة عبارة عن حركة وتغيير، فعلى المسلمين أن يقوموا بتغيير مفاهيمهم الدينية ونص قرآنهم حتى لايوصموا بالجمود فى نظر السيد بيرك وحتى يمكن للقرآن أن يتمم رسالته ويكون لكل الشعوب وفقا لهواه ..

وهنا لايسعنا إلا أن نقول لكبير المستشرقين ، بدلا من البحث بأية وسيلة وبأية أسانيد مبتورة ، أو مفتعلة للترويج لعملية تغيير ، أو تطوير النص القرآنى ومفاهيمه ، ليتك حاولت فهم الفرق بين الاستقرار والجمود ، بين الثبات والرسوخ ، وثبات المبادئ – التى هى من دعامات الإسلام – وبين الحركة الدائبة والتغيير والتبديل وعدم الاستقرار – التى هى من آفات الغرب – فعلى حد قول الفيلسوف الفرنسى رنيه جينون ، الذى أسلم واختار اسم عبدالواحد يحيى ، وأمضى آخر عشرين عاما من حياته فى فهم الإسلام والدفاع عنه «إن الثبات ، أو الاستقرار ليس ما هو مناقض للتغيير ، وإنما ما هو أعلى وأرقى منه» .. وهنا لايسعنا إلا أن نقترح على السيد المستشرق أن يقرأ بعض مؤلفات عبدالواحد يحيى ، وهى مازالت بالفرنسية ، ومنها كتابه عن : «الشرق والغرب» ، و«أزمة العصر الحديث» ، و«لمحات حول علم الباطن الإسلامى» .. وهى جزء من كثير يوضح فيه مافاتك وفات الغرب أن يدركه فى الإسلام وحضارته .

وأما المحاضرة الثالثة فهى بعنوان «معيارية القرآن» وقد بدأها قائلا : «إن معيارية وشرعية وتطبيقات النص المقدس : كلها قضايا يثيرها الجدل الكبير القائم حاليا حول وصول ، أو عودة البلدان المسلمة إلى الشريعة ، أو إلى القانون القرآنى ، وهى ليست عودة بمثابة استمرارية إسلامية لما تمت ممارسته حتى الآن ، بلا انقطاع ، منذ الأيام الأولى فى بعض قطاعات الحياة كالوضع الشخصى ، أو الميراث ، وإنما هى عودة فى شكل توسع جديد للقرآن تحت شكل قوانين تدرك وتُصاغ للرد على كافة احتياجات الحياة المعاصرة» .

وذلك هو ما يزعج السيد بيرك حقيقة ، فهو لايريد أن يظل القرآن مصدرا للتشريع فى الإسلام ، وخاصة لايريده مصدرا للرد على قضايا الحياة المعاصرة وذلك لأن «هذا التشريع يتضمن القانون التجارى مثلا ، والقانون البحرى ، وبالطبع قانون الالتزامات والفروض ، وكذلك القانون القمعى ـ فالقهر يلعب دورا كبيرا بالطبع فى هذا المشروع ، لأن استعادة الدولة والمجتمع يعنى كل هذه الخلافات» .

وقد انصب تركيزه على كلمة «شريعة» التى تمثل محورا من أهم محاور الجدل الدائر حاليا : «إن الشرعية هى الشرع ، أو القانون المنزل خاصة فى شكله أو فى روحه القانونى . ومع ذلك فهيهات أن تعنى الكلمة الأساسية ذلك المعنى الذى يضفونه عليها اليوم . فلغويا شريعة تعنى «الوصول إلى المسقى» ولايوجد لها فى القرآن سوى أربعة استخدامات للمصدر وهو أمر جد قليل : ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذين أوحينا إليك﴾ (الشورى١٣) (وقد أغفل ترجمة كلمة «لكم» التى تؤكد على أن هذا التشريع خص به المسلمين) . راجع الشورى ٢١ : ﴿أم لهم شركاء شرعوا

لهم من الدين ما لم يأذن به الله ....﴾ ، ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة ٤٨) الأمر الذى يدل على تساوى معنى شرعة ومنهاج . والمنهاج هو الطريق ؛ والشرعة هى عملية اتخاذ الطريق ، مما نجم عنه الشكل الاستهلالى لهذا المفهوم» .

وبعد هذه السفسطة التى حاول أن يثبت من خلالها أن الشرع أصلا غير وارد فى القرآن ، وأن الكلمة تعنى «الوصول إلى السقى» يقول : «إن كلمة شريعة لكى تعنى «شرعا منزلا» تصبح تحريفا شرعيا ، أو مباحا وإن كانت قد ثبتّت وحجّرت الليونة اللغوية للمصدر» !

ثم تناول بنفس النمط الحلزونى كلمــات وصى ، أوصى ، الوصى ، وليتحدث عن الميراث ، وتناول كلمات الحد ، والموعظة ، والسنّة ، والعرف والمعـروف والحكم ، ليـوضح ، بعـد القــفـز على الكلمـات ، والمعـانى ، والدلالات، أن «رغم انتشار هذه الكلمة فهى أكثرهم قربا من المعنى الفرنسى لكلمة معيار ويوجد لها ١٨٠ أو ٢٠٠ استخداما فى القرآن مما سمح لواحد من أعمق علماء القرن الثامن عشر الميلادى ، هو شاه ولى الله دهلوى أن يستخدم عبارة «حكم الأحكام» ليترجم ما يمكن أن نقول عنه بلغة العصر «المعيارية» . ويخرج من هذا اللغو الذى لامعنى له سوى استعراض عضلات اتساع قراءاته ليقول : «والآن يحق لنا أن نطرح السؤال : هل الإنسان المسلم مكبل إلى هذا الحد من كافة النواحى؟» .

«إذن يحق لنا أن نتساءل ، عن حق ، عن عدد المعايير التى يتضمنها القرآن» وإذا ماتساءل المرء : وما سر هذا الاهتمام المتحذلق أجاب قائلا : «يتسائلون ، فى النقاش الحاد الدائر حاليا ، منذ عقد تقريبا ، فى بعض المجتمعات الشرقية ، أو فى بعض قطاعاتها ، إن كانوا فى وضع ، أو حتى إن

لم يكن من حقهم إعادة النظر جذريا فى العتاد القانونى مثلما ورثوه من أيام فترة التوغل الغربى ، لكى يعودوا إلى الأصول فى القرآن . لكن على ألا يستلهمونه مثل الفقهاء ، أو الزهاد القدماء الذين كانوا يستوحون أساسا قاعدة إلهامهم . لا : لا شئ من هذا القبيل ، ولكن ليستخرجوا من القرآن ما يزودوا به المجتمعات الإسلامية اليوم قرابة أربعة ، أو خمسة آلاف من المعايير التفصيلية، المجزأة فى بنود ، على طريقة قانون نابليون ، والتى هم بحاجة إليها ليتحركوا» .

ثم يحاول إحصاء عدد القوانين ، أو المعايير الواردة فى القرآن ليفاجأ بأنها «جد شحيحة» فإذا ما كانت هناك قرابة سبعمائة آية تتعلق بالكون ، فإن محمد بن عبدالله بن العربى لم يذكر فى كتابه «أحكام القرآن» سوى ٢٠٠ أو ٥٠٠ ، ويسارع چاك بيرك بالتساؤل عن عدد الأحكام فى العهد القديم فيقول أنها ستمائة ، وكم عددها فى القانون الرومانى ؟ ألفان وأربعمائة وأربعون عشر !! «وياله من عدم توافق مذهل فى التناسب» !

وعلى التو يستنتج سيادته أن قلة عدد الأحكام فى القرآن ـ كما يقول ـ ليست وليدة الصدفة وأن «القرآن قد ترك جزءا كبيرا لمبادرة المؤمن، أو لرجل القانون . وهو نداء لامعنى له سوى اتخاذ المبادرة والحرية وفتح باب الاجتهاد والتجديد» .. وفتح باب التغيير والتحريف .. وكل مايحاوله الغرب من دسائس باسم العلم !

وهو نموذج من عشرات الأمثلة لنوضح كيف يتفلسف السيد چاك بيرك ليلوى معانى النصوص والكلمات ، بل والقرآن برمته ليخرج باستنتاجات تدعم مجهوده المنبت فى محاولة تخريب القرآن تحت زعم الحداثة ، والعصرية، ومتطلبات العصر الحديث ..

ثم تتجلى قريحته ليؤكد أن القرآن لايتضمن سوى آية واحدة خاصة بما يطلق عليه القانون المدنى وهى : ﴿ ... **وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ (البقرة ٢٧٥) وعلى العكس من ذلك «فإن القرآن يزخر بآيات العقاب الخاصة بالقتل والسرقة ، والزنا ، وربما الارتداد ، والخمر ...» موضحا رغم محاولة تخويفه أن هذه العقوبات تتعلق بمدى توبة الجانى وتطالب القاضى بالرحمة .

ودون الدخول فى تفاصيل قانونية نلفت انتباه السيد چاك بيرك أن يكلف خاطره ويطالع عدد الرسائل الجامعية ودرجات الدكتوراه التى منحتها السوربون لرجال القانون فى مطلع هذا القرن ، ولانذكر منهم على سبيل المثال سوى محمود فتحى ورسالته عن «التعسف فى استخدام الحق» أو الدكتور السنهورى ورسالته عن «فقه الخلافة وتطورها» ليرى بالوثائق والأبحاث التى تمت على أيدى بنى جلدته كم كان القانون الإسلامى ، أو التشريع الإسلامى سباقا على بقية القوانين وخاصة على قانون نابليون الذى يتغنى به ، أو قانون چوستنيان الذى يزعم فى أكثر من موضع أن القرآن أخذ عنه ، أو نهل منه أو تأثر به!!

ولن نضرب له مثلا إلا بقاعدة الإثبات فى المواد المدنية والتجارية ، فى آخر ما وصل إليه التشريع فى فرنسا ، وكيف إنها توجب إثبات الديون المدنية بالكتابة ، أما التجارية فيجوز إثباتها بكافة طرق الإثبات . وهو ما نص عليه القرآن بوضوح لا لبس فيه . إذ نجد فى سورة البقرة : ﴿**إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم**﴾ (الآية - البقرة ٢٨٢) ! .

ثم يتباكى المؤلف على أن القانون الإسلامى مكبل بالماضى ، «وهو أمر مفهوم فى جو متدين محافظ ، لكنه معوّق فى فترة تغييرات متلاحقة» ،

مؤكدا على أن معظم حلول الفقه رجعية الطابع وتعانى من الجمود والبلبلة ، كما أن أحكامه الكلاسيكية تترك جانبا الكثير من مشاكل الحياة الحالية» .. إلا أن مايغضبه حقا وما يغضب محركيه هو «أن الغرس الثقافى الغربى الواضح منذ أيام «المجلة» العثمانية ، يدفع الإسلاميين حاليا إلى المطالبة بالعودة إلى الشريعة بشكل متناقض» !

ثم يختتم هذه المحاضرة الثالثة قائلا : «إن إعادة النظر فى التشريع ستأتى بمزايا لاتحصى فى المجال العلمى : شريطة أن تتم فقط وفقا للخطوط المبتكرة التى حاولت استخلاصها، أى بالجمع بين الإخلاص ، والتاريخانية ، والحداثة» !!

الأمر الذى يكشف بوضوح مايسعى إليه السيد بيرك .. فبعد أن أوضح كيف أن القرآن مفكك ، ملئ بالإبهامات ، وغير صالح لكل زمان ومكان ، فهو مخلوق لظروف بعينها ، وشريعته جامدة ، لاتتمشى مع متطلبات العصر الحديث ، لأن معظم حلول الفقه المستمدة منه رجعية ، تعانى الجمود والبلبلة ، وقائمة على القمع والقهر .. بعد تقديم هذه المسببات والعديد غيرها ـ الذى لم نتناوله ـ يطالب المسلمين بإعادة النظر فى تشريعهم ؛ لأن ذلك سيأتى بمزايا لا تحصى شريطة أن يتم ذلك فقط وفقا للخطوط المبتكرة التى استخلصها سيادته !

وهنا لانملك إلا أن نسأله ، بعد كل ما طرحه فى التواء متحذلق حينا ، وفى وضوح يكشف عن نوايا جد بالية متكررة . لم كل هذا السعى الحثيث لتفرض على القرآن ـ الثابت تنزيله ـ ما رفض الفاتيكان تطبيقه على نصوص الأناجيل الثابت تحريفها على مر العصور وعبر المجامع ؟! وإن هالتك الدهشة أو عدم الدراية ، فلتقرأ الخطب الرسولية للبابا بيوس العاشر ضد الحداثة ومنها:

«أشياء مجزئة» (Lamentabili) ، و«المراعى» (Pascendi) ، و«الدرب» (le sillon) ، و «اهتمامات»(quanta cura) ، وهى من أواخر القرن الماضى .. لترى كيف قامت الكنيسة بمحاربة وحرمان من يمس أصولها المحرفة .. فما بالك بنصوص منزّلة ؟!

وتحمل المحاضرة الرابعة عنوان : «القرآن واللغة العربية» ، وقد بدأها باستشهاد للجاحظ يقول فيه : «إن الله قد أرسل محمداً إلى العرب الذين كانوا شعراء وخطباء» .. وبعد استكمال الاستشهاد يقول چاك بيرك : «ذلك هو ماتضفيه العقيدة إلى المعجزة ، إنها إحدى المعجزات من ذلك النوع الروحى والتى لاتؤدى إلى أى إقلاق فى نظام الطبيعة ، وبناء على ذلك فإن الإسلام يتم تميزه على العقيدتين المنزلتين الأخريين . وكما ترون ، يوجد فى نظر المؤمنين صلة عضوية بين التنزيل الإسلامى واللغة العربية ، وهو جو مختلف تماما عما يسود فى المسيحية ، حيث يتحدثون عن التجسد» (أى تجسد الله عز وجل فى السيد المسيح) .

ثم يواصل حضرته قائلا : «بالفعل ، إن مسألة اللغة لاتلعب علميا أى دور فيما يتعلق بالأناجيل ، فالخطاب الذى كان يعظ به يسوع لايتطلب اهتمام المفسر ، وما كاد علماء التاريخ فى القرن التاسع عشر يتساءلون عما إذا كانت فلسطين الرومية ، وكان آنذاك بلدا شديدة الاختلاط ، يتحدثون فيه عدة لغات ، إذ كان يسوع يستخدم الآرامية أكثر من العبرية . ونميل إلى الاعتقاد أنه كان يعبّر خاصة بالآرامية ، وإن كان يجيد عبرية الكتاب المقدس»

وهنا لابد من وقفة نبدأها بأن فلسطين لم تكن «رومية» ، وإنما كانت خاضعة آنذاك للحكم الرومانى . والفرق شاسع بين الهوية ، والخضوع

للاحتلال ! ، ثم ، بغض الطرف عن حشر موضوع الأناجيل لعمل مقارنة تتيح له النيل من النص القرآنى ومن لغته العربية ، فمن الواجب أن تلفت نظر سيادته إلى عبارته غير الأمينة ، التى يقول فيها : «إن مسألة اللغة لاتلعب عمليا أى دور فيما يتعلق بالأناجيل ، فالخطاب الذى كان يعظ به يسوع لا يتطلب اهتمام المفسر» الخ ..

ولانعتقد أن واحدا فى مثل مكانة چاك بيرك ، الأستاذ الفخرى بالكوليچ دى فرانس ، وأستاذ علم الاجتماع ، وأستاذ الاستشراق ، أو كبيرهم ، يجهل تاريخ بلاده وتاريخ مذهبه الدينى الذى يعتنقه إلى هذا الحد !! فالأزمة الصارخة المعروفة باسم «أزمة الحداثة» التى اندلعت فى مطلع القرن وهزت أركان الكنيسة الكاثوليكية حتى كادت تأتى عليها ، لولا تصدت لمحركيها بلجان محاكم التفتيش التى كانت سائدة حتى ذلك الوقت وتم تغيير اسمها – وبالحرمان من العقيدة ، وبرفع شعار «الأصولية» وكانت حركة الحداثة تعتمد أساسا ، ومن ضمن ما اعتمدت عليه ، على تحليل النصوص الإنجيلية وتطبيق العلوم الوضعية ، وعلوم اللغويات عليها إلى جانب اكتشافات العلوم الحديثة ، الأمر الذى أدى إلى تلك الأزمة الحالية التى يعانى منها الغرب ويحاول رأب تصدعاتها المنعكسة فى الأزمة الحضارية والأزمة العقائدية .. فكيف يمكن للسيد بيرك أن يقول إن اللغة لم تلعب دوراً فى الأناجيل فى حين أنها كانت من الأدوات الأساسية التى كشفت عمليات التلاعب على مر العصور بفضل اختلاف الأسلوب ؟!

ولايتسع المجال هنا لتناول موضوع الحداثة ، والأصولية فى الغرب ، أو فى الكنيسة ، خاصة وأنه يختلف تماما عند استخدام هذه العبارات فى الإسلام، لكنا ندعو السيد بيرك إلى قراءة أبحاث أولئك الآباء الذين تزعموا حركة

الحداثة لتخليص العقيدة من كل ما علق بها من تحريف ، ومنهم الآباء : الفريد لوازى ، وادوارد لروا ، وجوزيف تورميل ، وألبرت هوتين ، والأسقف دوشين ، وخاصة رودلف بولتمان ـ ذلك الأب الذى يصفون أعماله بأنها تمثل «الضربة القاضية» أو التى «أصبح من المحال تغافلها» .

ثم ينهى السيد بيرك موضوع استشهاده بالأناجيل ليضيف طعنة جديدة قائلا : «وهناك أناجيل نجمت عما يطلقون عليه logia ، وهو شئ أشبه ما يكون إجمالا بالحديث ، أى إنها أقوال تم تجميعها ، ولغتها هى أيضا تمثل مشكلة» .. أى إن لغة الحديث والسنة تمثل مشكلة أو إنها تثير من المشاكل مايمس ، أو يضعف مصداقيتها ! .

ويعود الى القرآن ليؤكد ثانية على أنه يخاطب عقل ومنطق الإنسان : فهو بيان وتفصيل ، وهو ضمير ومبين ـ مثله مثل ما أطلق عليه أرسطو خطاب فلسفى يشع نوره وهذه هى القاعدة اللغوية عند اليونان أو قاعدة المنطق اليونانى.. ثم يبادر بالقول : «وهنا نسجل دون استخراج أية استنتاجات ، ذلك اللقاء بين الهللينية القديمة وحكمة الاسلام» .. وهى نفس الفكرة التى طرحها فى مقدمته الشهيرة لترجمة معانى القرآن ، وإن كان حاول أن يصيغها بعبارات أكثر تنميقا أو يحاول التنصل منها مع تأكيدها ! .. مثلما تناول قضية القرآن مخلوق أو غير مخلوق وأن العقيدة هى التى رسخت فكرة عدم خلقه .. وقضية اللغة والشعر الجاهلى التى تناولها أيضا بنفس أسلوب الكر والفر وهنا يقول :

«إن خطاب القرآن أنزل بلغة يفهمها الناس فى ضواحى مكة وكانوا خاصة من آل قريش .. وأنه يتضمن عدة مستويات تصاعدية مليئة بالإشارات إلى المجال العملى وإلى الواقع ، إلا أنها شديدة التمايز عن ملمح الشعر الذى

إلى المجال العملى وإلى الواقع ، إلا أنها شديدة التمايز عن ملمح الشعر الذى رغم وضوحه وإيحاءاته يموج فى هالة من التباعد والتخيّل . بينما القرآن ـ رغم قاعدته الواقعية المتداخلة مع المطالبة بالتصعيد ، يؤدى الى رد فعل جدلى أو إلى صدمة نفسية يمكنها أن تؤدى إلى تغيير شامل» .

وبدلا من أن يبرهن على هذا التغيير الشامل يتزايد عدد الذين يدخلون الإسلام وبانتشاره ، رغم كافة محاولات التجريح التى كالها ويكيلها له الغرب، يضرب مثلا «بالقصة التى تحكى عمن أصبح الخليفة عمر» بنفس أسلوب الوخز الخفى ـ الواضح قائلا :

«ففى شبابه لم يكن ذلك الذى يطلق عليه الورع . وذات يوم ذهب صدفة ليطرق باب دار بها بعض الصحابة وكانوا يقرأون إحدى السور فاستمع إلى بضعة آيات من خلف الباب .. وهذا الشخص الفظ الذى كانت أخلاقه حتى تلك اللحظة لها دفعاتها غير المثالية ـ وإن كانت تشوبها بعض قيم المغامرات لبلاد العرب القديمة ، تحول وإلى الأبد إلى ذلك المؤمن الصارم الذى نعرفه» !!

وبغض الطرف عما فى صياغته من قحة فى تناول سيرة من فى مثل مكانة سيدنا عمر ، وما بها من تلميح بعدم معقوليتها فى سرعة إيمانه فلا نملك إلا أن نقول يكفيه ويكفينا فخرا أن التاريخ لم يمسه بكلمة سوء .. لكن ، ترى ماقوله فى واقعة لا أقول شبيهة لكن الباحثين والعلماء لم يكفوا عن فضحها وهى : إيمان بولس الرسول ، الذى كان يناصب المسيحية العداء ويشى بالمسيحين ليتم القبض عليهم ، بل هناك من المراجع الحديثة مثال كتاب : «بولس مشعل الحريق» ما تجزم بأنه كان حاضراً أثناء «محاكمة

يسوع» وأنه شارك في إدانته ! وهو اليهودى الذى يقول عنه العديد من المتعمقين فى ذلك التاريخ أنه اعتنق المسيحية ليحيد بها عن مسارها وعن رسالة التوحيد التى بشر بها عيسى بن مريم ـ وهو ماحدث فعلا ، يقال إنه آمن وهو فى الطريق إلى دمشق ليقوم بإحدى مهامه التقليدية البوليسية . وصارت عبارة «الطريق إلى دمشق» مثلا فى اللغة الفرنسية تعبيرا عن لحظة العثور على الاهتداء ، أو التوبة ! .

وقبل الانتهاء من فقرة أسلوب الأناجيل يقوم چاك بيرك بتقديم افتراض «لم يسبقه إليه أحد» لكى يقوم المختصون بدراسته وهو «أن الوصايا العشر التى نزلت على موسى قد كتبت بالهيروغليفية ! .

وهنا لايسعنا إلا أن نأسف لإحباط اكتشاف سيادته وأنه لم يكن سباقا فى هذا «الحلم والتصور» ، وإنما هناك من تناولوه بالبحث فى الشرق والغرب ، ومنهم الباحث حجازى السقا وكتابه المعنون : «التوراة الهيروغليفية» وهو صادر عن دار الأنصار ، كما سبقه العالم سيجموند فرويد إذ أشار إلى نفس هذه النقطة فى كتابه المعنون : «موسى والتوحيد» ، ومن بعده تناولها عالم المصريات چيمس هنرى برستد فى كتابه الشهير «فجر الضمير» ..

ويعود للغة القرآن قائلا : «إذن ، على الرغم من القوة التى أبرزناها للتو ، فإن القرآن فى لسان قوم قريش ، وهو أيضا لغة قريبة لغويا من لغة شعراء العرب قبل وبعد قريش فلا يمكن التغاضى عن هذا التشابه الأخير . ولاشك فى أن هذا التشابه كان من القوة حتى أن النبى اضطر إلى الدفاع عن نفسه بأنه ليس بشاعر ، أو ساحر » ..

ثم ينتقل إلى سورة البقرة والآيات من ١٧ الى ٢١ ليستعرض وصف العاصفة مؤكدا أن نفس هذا الوصف وارد فى معلقات امرؤ القيس والأعشى

يؤمنون بالشعر مثل إيمانهم بالقرآن ، مستشهدا بالوليد بن مغيرة حينما عبر عن إعجابه عند سماعه إحدى السور فصاح قائلا ما معناه تقريبا : «لايوجد بينكم أى شخص أفصح منى فى الشعر ، ولا فى الرجز ، ولا فى القصيدة ، لا فى الإنس ، ولا فى الجن ، ولا أجد أى شئ من ذلك فيما تقول . إن ما تتلوه يامحمد به نعومة ، وبريق ، ولمعان . إنه يثمر من أعلى (إن أعلاه لمثمر) إنه مروى من أسفل (وإن أسفله لمغدق) إنه يصعد إلى أعلى كالنخيل ويسحق كل ماهو أسفل» .. ويضيف بيرك إن التعبير عن الإعجاب بلغة زراعة الواحات هو وصف جيد لانعكاسات السجع القرآنى ، ثم يحدد قائلا : «ولايمكننا أن نحسم أسباب هذه الانعكاسات إلا إذا تمت بعض الدراسات المتخصصة بدأ من علم الدلالة إلى علم الأصوات لتبرز المقاطع التى لها مغزاها» .. والمغزى الذى يسعى إلى إثباته طولا وعرضا هو ارتباط القرآن بمنطقة معينة ، وبحقبة زمانية معينة وبالتالى عدم صلاحيته لكل زمان ومكان ـ وذلك بخلاف أنه نوع من أنواع الشعر الجاهلى ..

ومن أكثر الفقرات دلالة على مستوى بحثه العلمى واستنتاجاته الأمينة التى يقدمها مثالا يجب أن يحتذى به ، ما يقوله عن التباكى فى الشعر الجاهلى على الأماكن المهجورة وخاصة التباكى على الحبيبة ، وهو ما يطالعه فى معلقة امرؤ القيس الكبرى .. «وتمتد الصحراء على مدى البصر ، ويتضاعف الفراغ مما تنجم عنه صدمة نفى مزدوجة تمثل كل قوة القصيدة وهذا النفى المزدوج سينتقل فى القرآن فى عبارة التوحيد الدينية : لا إله إلا الله .. مما نجم عنه نظرية إعجاز القرآن» !!

«وهذه النظرية لم تتولد وحدها فمثلها مثل بقية النظريات الشبيهة قد احتاجت إلى وقت حتى تستقر . وقد كان لها هادميها ، ولم يتم التعبير عنها تماما إلا فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، ولم تأخذ شكلها النهائى إلا فى القرن الرابع الهجرى ، أو فى أواخر القرن التاسع عشر ، أو العاشر الميلادى وهذه النظرية تواكب نظرية عدم خلق القرآن التى ـ وفقا لها ـ القرآن لم يخلق ، وبالتالى فهو ليس موضوع تاريخى ، وإنما لابداية له ، وهو خالد على عكس الطبيعة . وقد كان لهذه النظرية مهاجميها الذين أدانوا عدم التجانس الواضح فى النص القرآنى بحرية رأى تدهشنا اليوم .. فقد كانوا يتناولون فحوى الخطاب ، من المجال الخالد إلى المجال الزمانى ، وهو ما لم أتعرض له إلا بصورة مقتضبة» ...

«وأيا كان الأمر فإن مفهوم الإعجاز هو الذى ساد فى العقيدة بفضل الباقلانى الذى ذكرته آنفا ، أو بفضل الرازى الذى كان يستشهد بعبارات الإعجاب التى كان المعاصرون لتنزيل القرآن يتغنون بها ... ومن التناقض بمكان أن ننكر أن هذا النص الذى نزل على مدى عشرين عاما ، على أجزاء وبغير ترتيب ، ثم تم تجميعه بعد عشرين عاما ، قد فرض نفسه بالصورة التى هو عليها إن لم يكن به مميزات منفردة ... إن هذه اللغة قد شغلت معظم علماء البلاغة والنحو الذين لم يكفوا عن الإعجاب بها ولاعن محاولة معرفة أسباب إعجابهم ، لكن عبثا ... فهذه اللغة الشديدة العربية ، والعربية بالاختيار الإلهى وفقا للمؤمنين ، تتضمن أيضا خمسين لهجة مختلفة (لهجات القبائل المختلفة بخلاف خطاب قريش الذى زادت نسبته بالتجميع الذى تم أيام عثمان) . فإننا لانجد عبارات من قبائل عربية أخرى ولكن من لغات مجاورة أيضا مثال اللغة المصرية الديموطيقية ، والفارسية ، والجيز ، بل وحتى اليونانية» . ولغة الجيز guez هذه هى اللغة الكهنوتية لكنيسة أثيوبيا القبطية وتعد

مشتقــة، أو محـــرفة من لغة عرب جنوب اليـــمن فى باب المنــدب (Enc. univ. vol. 6 p. 667) .. ولم نكن نعلم أن قـرآننا به كل هذا الخلط اللغوى.. أفادكم الله ياسيد بيرك .. ثم يواصل قائلا «كما أن القرآن شحيح جداً فى عبارات الغيب أكثر من الشعر العربى حتى إن معاصريه كانوا يضطرون إلى اللجوء لمن يشرح لهم . ويقـول التراث إنهم عادة ما كانوا يلجأون إلى التفاسير المسندة إلى ابن العباس ، عم النبى . إلا أن ذلك لايضر بالسياق العام من حيث البساطة والوضوح الذى يسود فى الكتاب ... وذلك يرجع إلى ماسبق الإشارة إليه وما يطلقون عليه الإعجاز . ولانجد مثل هذا التضاد إلا نادرا عند أفضل الكتّاب ، ولاحتى عند أكبر شعراء هذه اللغة . وما أكثر عددهم أيام النبى وقد كان محمدا مشبعاً بالشعر مثل كافة مواطنيه إلا أنه كان يجيد التفرقة بين هذا وذاك ، بين أعمالهم والقرآن ، بما أنه كان يتحدى المحيطين به أن يأتوا «بعشرة آيات مماثلة» إن سيادة النص الذى كان يدلى به كانت بإدراك واعى منه ، ومع ذلك فقد كان يعرف قيس بن ساعدة ذلك الحكيم الذى يبجله وكان يرى فى قيس بن عاصم مؤلف المواعظ «سيد أهل الوبر» . ولربما التقى بالأعشى الرحاله ، ودُرَيْد المقدام ، أميّه بن أبى صلْتْ الغريب والغضوب . ولربما أعجب بعنترة الرومانسى . وقد كان يستعين بحسّان بن ثابت كداعية ، وكان يقدره . ولعله التقى وأحب لبيد إلا أنه كان مدركا ، وكانوا جميعا مدركين أن وسط أغانى كل هؤلاء الشعراء المنشدين يرتفع نشيدا أكثر قوة وأكثر صفاء» (هو القرآن!!) .

وأترك للقارئ أن يخرج بكل مايشاء من الوصف اللغوى العلمى التزيه - كما قال صاحبه .

ويبدأ الخاتمة بالفقرة التالية :

«مئات الملايين من البشر يدينون اليوم بالإسلام ، الديانة التى عمرها أربعة عشر قرنا . إن مثل هذا الانتشار ومثل هذا التوسع التاريخى يتضمنان شيئا من التنويع فى تفسير العقائد وخاصة فى العبادات ... والأمر متعلق بكلٍ جد حيوى وَحْدَوِى ومتناثر ، يتنازعه الارتباط بالأصول والإحساس بالتفرد ، والرغبة المتزايدة للتأقلم مع المسيرة العامة للعالم المحيط .

«وثيقة واحدة ، دونما خطأ فى الطبيعة والمناخ ، ولا فى النسب يمكنها أن تكون بمثابة قاسم مشترك أعظم فى هذا الواقع الذى يسود الكوكب . إنه القرآن الذى حاولت الصفحات السابقة أن تمسك به . وهو الكتاب المؤسس ، وعمود من الكلم المتصاعد من أعماق العصور ، وسجل نابض الصور ، والأخلاق ، والأداب ، وفوق كل شئ فهو فى نظر المؤمنين تنزيل روحى ، وقد مثّل ومازال يمثل لمجمل المسملين فى كل زمان وكل البلدان إدراك عينى مرتبط بالهوية الجماعية» .

وبعد هذا التقديم التعريفى بالقرآن يواصل المؤلف قائلا :

«على الرغم من أن الملاحظات الواردة فى هذه الصفحات صادرة عن شخص غير مسلم وعلمانى ، فقد صيغت بلا مجاملة وسوف تضفى لإيمان المؤمنين الجزء اللازم لكى يقتربوا من النص . وكان على الموضوعية أن تراعى هذا الإيمان تفاديا للخطأ . وهذه الموضوعية كانت ضمانا ضد أخطاء ، أو تعسف المفسرين ..

«وهكذا ، فإن ما نطلق عليه النص القرآنى الحالى لايتضمن بالمقارنة بالنصوص المثيلة له إلا بعض التنويعات النادرة والجزئية . والإسلام يصدقه

بالإجماع وبشهادة لم تدينها عشرات الطوائف التى تنازعت شرعيته طوال القرون ، ومثل هذه الملاحظة قد تحبط من يحاول انتقادها . إلا أنه قد وجد بعض النقاد شديدى سلاطة اللسان ، والمتأثرين بنماذج ثقافية أخرى قد أقروا بأن صياغة تكوين النص القرآنى قد تمت بعد قرن ، أو قرنين ، بل ولايرون فى التراث المذكور سوى مباحث لاحقة» .

وعلى الرغم من انتقاده ، أو استنكاره لما تقدم ، وإن كان فى صياغة نص مُجهّل ، لانتساءل حتى لماذا أورد ما لايقره إن لم يكن للتجريح بأسماء الآخرين ، فها هو يسارع بآخر مافى جعبته ليضرب القرآن مستندا إلى القرآن وباسمه قائلا :

«إذا ما كان هناك بالفعل ملمحاً قد أدهشنا فى الرسالة القرآنية فهو الانفتاح الذى يقوم به على العالم باسم أصالة مستمدة من العالم الغيبى ، وبما أنه صالح ـ بتعريفه ـ لكل مكان ، وكل الأجناس ، وكل العصور ، فهو يبدو فى نظرنا ـ من هذا المنطلق ـ أنه يستبعد الجمود فى التفسير والتطبيق . وليس الجمود الذى يتهدد ممارسة أية سلطة ، ولكن ذلك الجمود الذى يتمسك بتكرار أحكام قضائية إلى مالا نهاية ، ولا تكرار جاهز للتحول إلى تقديس الجمود السابق مما استوجب هذا القول المأثور ضمن كثير غيره : **﴿فقد مضت سنة الأولين﴾** (الأنفال ٣٨) ..

وبعد توضيح كيف أن سلطة الأجداد هذه مشروطة بصفتهم ومحدودة باحتمال خطأهم ، يستشهد بالآيتين ٥٣ ، ٥٤ من سوّرة الأنبياء تأكيدا لدعوته : **﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾** . هنا أيضا نراه يقوم بنفس ماسبق له واقترفه بكل أمانة ونزاهة ،

حينما أورد عبارة «لكل كتاب أجل» على أن أبا بكر هو قائلها ، وإن كان فى هذا المحاضرات قد أورد بقية العبارة القائلة بأن هذا الأجل من لحظة التنزيل إلى يوم القيامة ، ها هو مرة أخرى يقوم بفصل آيات تحريم عبادة الأصنام ليقول لنا على لسان القرآن وبآياته إنه يدعونا ، أو يطالبنا بعدم اتباع سنة الأولين بألا نقع فى نفس خطأهم المبين بالثبات على القرآن وتشريعه ، وإنما علينا بالتبديل ، والتغيير ، والتخريب حتى يتمشى القرآن مع العصر وفقا لهدى السيد بيرك ..

ثم يختتم هذه المحاضرات العلمية الأمينة الموضوعية قائلا :

«علينا أيضا أن نراعى مجرى الأشياء وتطورها على مراحل ، ونراعى مستقبلها . إذن، كيف يمكن الفصل بين الأصالة ، التى تسمح برسو أفعال البشر ، وبين الزمان الذى تتم فيه هذه الأفعال ؟ يجب أن يرجع التحكيم إلى العقل الذى استند اليه القرآن عدة مرات وبأوضح مايمكن» ...

وتأتى الفقرة الأخيرة لتتوج كل ماتقدم إذ يقول :

«يمكن بالطبع الخروج بقراءات أخرى لهذا الكتاب الذى لايكشف عن سره . إلا أن هذه القراءة يمكنها أن تكون أفضلها فى مساندة مسلمى عصرنا فى البحث عن ذاتهم من خلال العالم الذى يصنع نفسه» ..

وبعد هذا العرض الموجز لبعض المحاور الواردة فى تلك المحاضرات التى ألقاها جاك بيرك فى «معهد العالم العربى» ، وتم نشرها فى الكتاب موضوع هذا البحث ، لابد من الإشارة إلى مقدمة ذلك الكتاب ، وهى بقلم المدعو محمد بن بنونة ، مدير المعهد المذكور .. وقد بدأها قائلا :

«إن طباعة الدروس التى قدمها چاك بيرك فى «معهد العالم العربى» ستسمح للقارئ الذى لم تتح له مزية الاستماع إليه أن يجد هنا إيقاعات تلك السمفونية الرائعة حول النص المؤسس للحضارة الإسلامية وهى وسمفونية مكونه من معرفة محبة ، وتبحّر تم التعبير عنه فى وضوح منير وانطلاقات ساطعة تفتح آفاقا لا نهائية لإمكانية التنقيب والتقارب والحوار مع ثقافة ما هو إنسانى» !

ثم يستطرد قائلا : «وليس من قبيل المصادفة أن يتناول (چاك بيرك) التأمل حول الكتاب المقدس (le livre sacré) الا بعد حياة مليئة بالبحث والتنقيب عمقا فى ذلك العالم العربى الذى أدرك وحدته وتنوعه وتعقيداته ، ممارسا لغته ولهجاتها ، وحياته اليومية وحركاته الفكرية الكبرى والاستفهامات التى لاحصر لها حول التراث والحداثة» .. ثم يقوم بتشبيهه بابن خلدون ومقدمته !!

وإذا ما كان السيد مدير «معهد العالم العربى» لم ير فى كل ما كتبه چاك بيرك من فريات ، وتحريف ، وحث على تخريب القرآن والشريعة إلا «سمفونية رائعة» فلا نملك إلا أن نقول له : عار عليك يا من تحمل اسم النبى عليه صلوات الله ، عار عليك يامحمد يا بن بنونة أن تساهم فى تلك الحملة المسعورة للنيل من «النص المؤسس للحضارة الإسلامية» والذى إن لم تكن تعلم فاسمه «القرآن» .. عار عليك أن تصف كل ماتتضمنه هذه المحاضرات من تجريح للقرآن ورفض للشريعة ، واستهزاء بالنبوة وسيد المرسلين وخاتم رسالتهم ، وكل ما بها من استهزاء بالمسلمين والعرب الذين أنت منهم على الأقل اسما ، أن تصف كل هذا وغيره كثير ، لم أشر إليه ، بأنها «سمفونية مكونة من معرفة محبة وتبحّر ثم التعبير عنه فى وضوح منير وانطلاقات ساطعة» !!

إن ماتفتحه هذه الانطلاقات من «آفاق لانهائية» هو ما يطلب به التيار المتعصب فى الغرب حاليا للإطاحة بالإسلام والمسلمين وهو ما سبق للمدعو جان كلود بارو أن أعلن عنه بصريح العبارة فى كتابه عن «الإسلام والعصر الحديث» قائلا : «لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم العصرية والحداثة ، وإلا على الإسلام أن يختفى» !! ويختتم كتابه هذا قائلا : ولاشك فى أن العصرية والحداثة هى التى ستنتصر !! .

كما لايفوتنا أن نلفت نظر السيد مدير «معهد العالم العربى» إلى أن هناك من الكلمات ما ارتبط شكلها بمضمونها بلا انفصام حتى بات الاسم دليلا لذلك المضمون ، وإن احتمل غيره من الإشارات . واستخدام عبارة le livre sacré إشارة إلى القرآن ، تعنى بالعربية «الكتاب المقدس» ، وهذا المسمى يطلق على الإنجيل بعهديه ، بل لقد أصبحت هذه العبارة لاتشير إلى أى كتاب آخر إلا إذا وضعت جدلا بعدها صفة أخرى مميزة دالة على المعنى المقصود .. وما أغناك عن السقوط فى مثل هذه الأخطاء التى لاتمس ، فى نهاية المطاف ، سوى اسمك ومركزك .. بل ما أغناك عن ترديد عبارات چاك بيرك بكل ما بها من فحيح ..

أما تشبيهك ما اقترفه چاك بيرك فى هذه المحاضرات التى حاول بها الهدم وليس البناء ، بابن خلدون ومقدمته ، التى تعد من معالم التراث الإسلامى والعربى ، فاللهم لاتعليق ، لكى لايزل اللسان ..

***

وقبل أن ننتقل إلى آخر ما ابتدعه السيد چاك بيرك ـ عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ الفخرى فى الكوليج دى فرانس ، عالم الاجتماع

والمستشرق ـ فى حربه المنبتة ضد القرآن والسنة ، نود الإشارة إلى بعض ما ورد من أخطاء فى ترجمة الآيات التى استشهد بها فى هذه المحاضرات :

*** سورة الإخلاص ـ صفة ٢١ ، ترجمه قائلا :**

Dis : Il est Dieu, il est un, Dieu de plénitude, qui n'engendre ni fut engendré, et de qui n'est l'égal pas un.

وتعنى ترجمته : قل : إنه الله ، إنه واحد ، إله الاكتمال ، الذى لايلد ولم يولد ، والذى له ليس مساويا أى أحد بغض النظر عن الركاكة الملتوية لأسلوبه !.

*** سورة يوسف ـ صفحة ٣٤ ترجم جزء الآية ٥١ الذى يقول :**

﴿قلن حاش لله﴾ (الآية) ترجمها الى :

Révérence a Dieu, dirent-elles

وتعنى ترجمته : إنحناءة لله ، قلن !!

وفى نفس الآية عبارة : «قالت امرأة العزيز» ترجمها إلى :

La Femme de L' Excellence dit!

وتعنى ترجمته : وأمرأة صاحب السعادة قالت !!

وفى نفس الآية «حصحص الحق» ترجمها الى :

La vétité s'installe

بما معناه : الحقيقة تستقر !

*** سورة آل عمران : ﴿ألن يكفيكهم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ الآية ١٢٤ .**

ترجمها قائلا :

Ne vous suffirait-il pas que Dieu notre seigneur vous grossisse d'une descente de trois mille anges?

وتعنى ترجمته : ألن يكفيكم أن الله سيدنا سيسمنكم (من السمنة فى الوزن) بنزول ثلاثة آلاف ملاك ؟!

وفى الاية ١٢٥ ﴿ .... يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين﴾ (الآية) ترجمها قائلا :

votre Seigneur vous grossira de cinq mille anges porteurs d'oriflammes.

وتعنى ترجمته : ربكم سيسمنكم بخمسة آلاف ملاك من حاملى رايات الحرب .

وفى الآية ١٢٦ : ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (الآية ترجمها إلى :

le secours ne peut venir que de Dieu Tout-puissant et sage.

وتعنى ترجمته : إن النجده لايمكنها أن تأتى إلا من الله القدير والحكيم.

وفى الآية ١٢٧ : ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ ترجمها :

et pour rogner la pointe des dénégateurs, ou les atterrer, et qu'ils s'en retournent déconfits.

وتعنى ترجمته : ولكى يقرض طرف (أو حرف) المنكرين ، أو يلقيهم أرضا وأن يعودوا مغلوبين .

* وعنوان سورة البروج ترجمه بكلمة القصور : les châteaux . ثم وضع هامشا يقول فيه ربما كان المقصود بها أبراج الفلك وهو ماقد يشير إلى دورة إلهية .

*** وفى سورة النساء : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** (الآية ١٠٥) ترجمها :

C'est Nous qui avons fait descendre sur toi L'Ecrit porteur du vrai pour que tu juges entre les hommes selon les vues que Dieu t'inspirera.

وتعنى ترجمته : إننا نحن الذين نزلنا عليك المكتوب حامل الحق لكى تحكم بين الناس وفقا لوجهات النظر التى سيلهمك الله ..

*** سورة يوسف الآية ٢ : ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** ترجمها قائلا :

Nous l'avons fait descendre en tant que Coran arabe, de sorte que,peut-être, vous y réfléchissiez.

وتعنى ترجمته : إننا نزلنا على أنه قرآن عربى بحيث إنه ربما تفكرون فيه !

*** وفى سورة فصّلت : ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾** (٣) ترجمها قائلا :

un écrit dont les versets ont été articulés en tant que coran arabe, pour un peuple qui comprendrait, qui saurait, qui réfléchirait.

وتعنى ترجمته : مكتوب تم تفصيل آياته على أنه قرآن عربى ، لشعب سيفهم ، سيعرف ، وسيفكر !

*** سورة البقرة الآيات ١٧ـ ٢٠ تناولنا فى الجزء السابق صفحات ٣١ ـ ٣٣ .**

*** سورة العاديات : ترجم العنوان : galoper أى عَدْو الخيل .**

والآية ١ : (العاديات ضبحا) ترجمها :

S'étrangler au vent du galop

تعنى ترجمته : الاختناق ذاتيا فى ريح العَدْو !

*** سورة الذاريات :** ترجم العنوان vanner أى «ذَرْى الحَبْ» !

والآيات ١ـ٤ : ﴿ والذاريات ذروا . فالحاملات وقر ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا﴾ ترجمها قائلا :

vanner vannage emporter une charge. légèrement courir. un décret répartir.

وتعنى ترجمته : ذرى الحَبْ تذرية . رفع حِمْل . الجرى بخفة . توزيع مرسوما .

والللهم لاتعليق !!

** أسلوب چاك بيرك **

أما عن أسلوب چاك بيرك فى هذه المحاضرات فهو يحمل نفس السمات الكاشفة لموقفه السابق المستمر ، ولن نتناوله هنا إلا من خلال عبارتين أساسيتين : التنزيل ، والقرآن .

ففى ترجمته لمعانى القرآن وفى المقدمة الطويلة المصاحبة له ، كما فى هذه المحاضرات ، يصر چاك بيرك على استخدام عبارة نزول بالفرنسية بمعنى نزول السلالم مثلا ، بل تصل به المغالطة إلى درجة الإصرار على ذلك متذرعا بنص القرآن نفسه ، قائلا فى صفحة ٢٢ من كتابه الأخير الذى يضم المحاضرات : إن القرآن قد استخدم عبارة إنزال وتنزيل inzal, tanzîl ، ولذلك كتبها نزول descente من فعل ينزل descendre ! وهنا لابد من توضيح ملاحظتين لهذا الباحث العلمانى كما يقول عن نفسه :

أولا : لو أنه كلف خاطره وفتح «المعجم الوسيط» الصادر عن مجمع اللغة العربية الذى هو عضو به ، بل ويتلفع بهذه العضوية ليبث أغراضه العلمانية السياسية المغزى ، لو أنه فقط فتح هذا المعجم فى صفحة ٩٥١ من الجزء الثانى لقرأ عند كلمة نزل مايلى :

(نزل) ـ نزولا : هبط من علو إلى أسفل ، ويقال نزل فلان عن الأمر والحق : تركه و ـ بالمكان ، وفيه : حلّ . و ـ على القوم : حلّ ضيفا . ويقال: نزل به مكروه أصابه . و «الحاج : أتوا منًى . و ـ على إرادة زميله : وافقه فى الرأى . و ـ فلان نزالة : سافر .

ومن كل هذه الاستخدامات يدرك القارئ غير المغرض أن نفس العبارة يختلف معناها وفقا للمضمون الذى تقع فيه . وإذا ماقرأ السيد بيرك الفقرة التالية لوجد : (أنزل) الشئ : جعله ينزل ويقال : أنزل الله كلامه على أنبيائه: أوحى به .

وهنا كان الباحث الأمين والذى يتناول بحثه القرآن ، أى كلام الله الذى أوحى به إلى سيد المرسلين وخاتمهم ، أن يختار هذا المعنى ، وله مايقابله فى الفرنسية وهى كلمة Révélation وليس كلمة نزول بمعنى نزول السلالم !!

وهذه الملاحظة تعد من أبجديات دورس الترجمة وهى أن اختيار العبارات المقابلة يتم وفقا للمعنى ، وليست العملية مجرد وضع اللفظ المرادف أيا كان معناه . وهو ما اتبعه السيد عضو مجمع اللغة العربية طوال ترجمته لمعانى القرآن تقريبا ، تحت زعم الترخيم حينا ، أو نقل الإيقاع حينا آخر .. وهو ما يكشف عن مستوى هذه الترجمة برمتها !

ثانيا : أما الملاحظة الثانية فتتعلق بكلمة «القرآن» . ومن أبجديات الترجمة أيضا استخدام اللفظ الواحد للعبارة الواحدة طالما المقصود واحد لم يتغيّر لعدم تشتيت ذهن القارئ . وكلمة «القرآن» جرى العرف الغربى على كتابتها Coran ـ ولسنا هنا بصدد مناقشة صحة هذه الكتابة أم لا ، لكنا نتحدث عن ترجمة چاك بيرك الذى راح يتلاعب على التنويعات اللغوية التالية بدلا من الثبات على كلمة Coran فقال عنه حينا le recueil أى ديوان الشعر ، و Le volume أى المجلد ، و le texte أى النص ، و dans l'édition أى فى الطبعة ـ وكأن القرآن يختلف من طبعة إلى أخرى .. وأحيانا يستخدم مجرد عبارة le livre بحرف اللام الصغير أى الكتاب العادى

وليس الكتاب المنزّل وهنا كان لـزاما عليه أن يضع حـرف الـلام الكـبير Le Livre مثلما كتبها أحيانا .

وكلها تنويعات لاتكشف حتى عن براعة لغوية كما يحاول إيهام المستمع أو القارئ ، وإنما تكشف عن موقفه المغرض واستهزائه المتواصل ومحاولاته الدائبة للتشكيك والترجيح إلى جانب محاولة فرض أن القرآن المنزّل يتضمن ماينص الأناجيل من مآخذ ـ وهذه وحدها تعد من أحدث مايحاول تيار التعصب الغربى دسه على القرآن والإسلام فى هذه الأيام . كأن نطالع فى موسوعة الثقافة العامة ميكروروبير ، فى جدول الثبت الزمانى أمام سنة ٩٣٥ ميلادى عبارة : «نهاية صياغة القرآن» ! وكأن صياغته قد امتدت الى قراية ثلاثة قرون ونصف ! أو أن نطالع فى كتاب أوليفييه كاريه مدير معهد الأبحاث السياسية بباريس ، فى كتابه الأخير «الإسلام العلمانى» الصادر عام ١٩٩٣ : «أن القرآن لايعترض على التثليث ولا على التجسد (أى تجسد الله عز وجل فى عيسى بن مريم) وإنما يعترض على المبالغة المسيحية» !

ولو أن هذا المؤلف قد فتح القرآن لوجد العديد من الآيات الصريحة التى تنص بوضوح قاطع قائلة **﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾** (المائدة ٧٣) ، وما أكثر عدد الآيات التى تحرّم التثليث وتحرّم الشرك بالله سبحانه وتعالى ، والتى لوعرف منها أن هاتين النقطتين تمثلان أهم خلاف بين المسيحية والإسلام إلى جانب عملية صلب وقتل السيد المسيح . لكنه التعصب الأعمى وآلياته المغرضة الحديثة ، تلك الآليات العلمانية التى يتعين على الأجهزة المختصة والمسئولة عن حماية الإسلام والقرآن أن تتصدى لها .

وهنا لايسعنا إلا أن نضيف : **﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم ومايشعرون﴾** (آل عمران ٦٩) .

** أحاديث إذاعية **

أما آخر ماقم به چاك بيرك فى مجال التعريف بالقرآن والإسلام لمسلمى فرنسا والعالم الاسلامى والعربى ، فهو تقديم هذه المحاضرات فى أحاديث إذاعية بمحطة مونت كارلو فى شهر مارس الماضى ، نلخص فيما يلى أهم ما تضمنته الحلقة المذاعة بعد ظهر يوم الإثنين الموافقة ٩٤/٣/٨ فى الساعة السادسة وخمس دقائق :

* إنه يدعو إلى إسلام تقدمى أى إلى إسلام علمانى كما فسرها بذلك .

* يجب التفرقة بين نواميس الروح والحياة المادية وفسرها بفصل الدين عن الحياة .

* القرآن فقط هو الأساس الوحيد الذى نستند إليه مع إنكار السُّنة .

* خطر الإسلام هو الجمود وهديته هى العقل وقد ذكر فى القرآن ٤٤ مرة .

* إننى من المفسرين التنويريين ، أى إننى أنتمى إلى فرع المستنيرين فى التفسير .

* ليس هناك تناقض بين العلمانية والإيمان ، ولكنها تفصل بين الروحانيات والزمانيات .

* أهم مشكلة فى العالم العربى هى مشكلة المرأة ، وهى من أعظم المشكلات ، بل هى أهم من مشكلة الدولة . وعلينا تغييرها .

وكلها نقاط تؤكد موقفه الذى كشفناه من ترجمته لمعانى القرآن ، إذ إنها تدور حول محور أساسى واحد هو تحريف الإسلام ، وذلك : بفصل الدين عن الدنيا ، وإلغائه السنة ، وإلغائه لدور الأئمة الفقهاء ، ومطالبته بضرورة التمشى مع علماء العصر العلمانيين ، واعتبار ثبات نص القرآن وعدم تحريفه جموداً ، ومطالبته باستخدام العقل لتحويره ، والإشادة بالعلمانية التى تفصل الدين عن الحياة واعتباره ذلك لايمس العقيدة ، واعتباره المرأة المسلمة من أعظم المشكلات وأهمها ؛ لذلك يركز على ضرورة الانحراف بها عن المسار الإسلامى على النمط الأوربى .

الأمر الذى يكشف إصراره على عملية تخريب الإسلام دينيا ، بتحريف القرآن ، وإلغائه السنة ، وتخريبه اجتماعيا ، بفرض العلمانية ، والعمل على إفساد المرأة المسلمة التى تمثل إحدى الركائز الأساسية فى المجتمع نظرا لدورها المتعدد الجوانب كأم ، وكمواطنة فى الدولة .

** خطاب إلى چاك بيرك .. **

تحية واجبة وبعد ،

من المؤسف حقا أن نطالع أنك أمضيت ثمانية عشر عاما تقريبا من عمرك العلمى فى محاولة عديمة البصر والبصيرة للنيل من القرآن والإسلام .. ومن المؤسف أن تتوج حياتك العلمية بمثل هذه السقطة العملاقة ، التى لم تمس فى واقع الأمر سوى مكانتك وخاصة بين من كانوا يعتبرونك صديقا لهم ولقضايا الحق ..

والأكثر أسفا أن تأتى هذه السقطة العملاقة مواكبة لتيار التعصب الغربى ومساهمة منك فى تلك الحملة الصليبية التى تدور رحاها منذ عام ١٩٦٥ ، حينما أعلن المجتمع المسكونى الفاتيكانى الثانى « توصيل الإنجيل لكافة البشر» .. تلك العبارة المضغمة التى لم يدرك أبعادها الكثيرون ، ثم فجرها البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢ حينما أعلن ضرورة «إعادة تنصير العالم» ، مستعينا بكافة المسيحين «من أكبر أُسقف الى آخر علمانى بموجب حصوله على التعميد فى الصغر» (راجع خطاب «روعة الحقيقة» وخطبه السابقة) ..

فمن الواضح أنك لم تع درس التاريخ ، ولم تنظر حتى إلى تلك المسافة الزمانية التى تقول إن الإنسان بحاجة إليها ليدرك الأمور بشكل أفضل ! ترى ماذا لو نظرت إلى التاريخ ـ بعين موضوعية أمينة غير مغرضة ـ وإلى عشرين قرنا هى عمر المسيحية ، لترى ما أصابها بعد تحريف مصادرها على أيدى

بولس الذى حاد بها عن التوحيد ، وكل ما ألم بالمؤسسة الكنسية حاليا من تصدعات تدفع بأهلها بعيدا عنها وتدفع بالمتحكمين فيها إلى اقتلاع الإسلام..

ماذا لو نظرت إلى أربعة عشر قرنا هى عمر الإسلام ، لترى ثبات قرآنه وانتشاره كديانة توحيدية منزّلة ، لم تُمَس ولم تُحرّف ، فهى خاتمة الرسالة التوحيدية . ماذا لو نظرت إلى ذلك الانتشار الذى هالك أن تقول إنه بلغ عدة مئات من الملايين ، وهنا إضافة لابد منها : رغم كل ما كاله تيار التعصب الكنسى من محاولات هدم منذ القرن السابع الميلادى ـ أى منذ ظهور الإسلام وبداية انتشاره ـ حتى يومنا هذا .. بل لقد زادت عنفا وشراسة فى هذا العقد الذى تم تحديده كنهاية للإسلام ..

ألم يكن أكرم بمكانتك العلمية أن تمضى ثمانية عشر يوماً ـ ولا أقول عاما ، فى محاولة صادقة لفهم القرآن وفهم تلك البساطة الواضحة التى لا يمكن تبسيطها إلى أكثر مما قاله سيدنا محمد عليه صلوات الله ، حينما سئل: ماهو الإسلام ؟ فقال : قل لا إله إلا الله ، ثم استقم» .. ذلك هو الإسلام الراسخ ، الثابت ، ياسيد بيرك : التوحيد بالله والاستقامة فى الحياة.. والحياة هنا بشقيها : الدنيوى والأخروى : ففى الإسلام لا انفصام بينهما .

وختاما لايسعنى إلا أن أضيف قول الله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون و يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾

** ســؤال **

إلى الذين بيدهم تصويب الأمر بالحق :

بعد كل ما استخرجناه من محاور هدم ، وكل ما قدمناه من نماذج لنوعية الترجمة ومستواها ، وكل ما أثبتناه من سوء نية مبيتة لتحريف القرآن وضرب الإسلام فى دعامته الأساسية المنزّلة الراسخة التى يلتف حولها المسلمون ، وكل ما عرضناه من أمثلة للنيل من مكانة وشخص سيدنا محمد عليه صلوات الله ، والنيل من كرامة المسلمين والعرب ، أما زلتم تترددون فى رفض هذه الترجمة وفى إسقاط عضوية صاحبها من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؟!

اللهم لاتعليق سوى :

حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .

دكتورة زينب عبدالعزيز

** تقرير السيد الدكتور محمود عزب **

وفى مطلع عام ١٩٩٣ طلب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق من السيد الدكتور محمود عزب المدرس بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر ، قراءة هذه الترجمة برمتها وإبداء الرأى فيها، وذلك بعد كل مانشر حولها من انتقادات . وفى السادس من شهر أغسطس ١٩٩٣ تقدم السيد الدكتور بتقريره إلى فضيلة الإمام .

ويتكون التقرير من ٤٤ صفحة وينقسم إلى بابين باب خصه لمراجعة الدراسة الملحقة بالترجمة ، والباب الثانى لفحص الترجمة وتحليل مشاكلها . وقد قسمه إلى خمسة فصول هى :

١- كلمات أو جُمل ساقطة من الترجمة أساسا .

٢- أخطاء تتعلق بمفاهيم ، أو مصطلحات أساسية فى الإسلام .

٣- أخطاء ناتجه عن عدم فهم دقيق للسياق ، أو للمفردة ، وهى تؤثر فى المعنى .

٤- أخطاء خاصة بالضمائر الشخصية من تكلم ، وخطاب ، وغيبه ، وافراد وجمع والخلط بينها .

٥- أشكاليات ترجع إلى اختلافات التفاسير .

ورصد السيد الدكتور فى النقطة الأولى ثمانية عشر خطأ لعبارات سقطت فى الترجمة ، تتراوح مابين الكلمة الواحدة أو الجملة المكونة من سبع

كلمات فى السهوة الواحدة ورصد فى الملاحظات الأربع مائة ثمانية وثلاثون خطأً (أى أن مجمل ما أشار اليه هو مائه وست وخمسون خطأ) ، منها ما يتعلق بمفاهيم ، أو مصطلحات أساسيه فى الإسلام ، أو عدم فهم للمفردة ، علما بأن عدم الفهم هذا يؤثر فى المعنى ، وكمٌ من الأخطاء فى الخلط مابين الضمائر (وهو وارد بكثرة على حد قوله) والمفرد ، والجمع ، وصيغ المتحدث، أو الإضافات التى لا لزوم لها .

والغريب أن السيد الدكتور لم يلحظ ، أو لم يشر الى الأخطاء الفادحة التى كان يتعيّن عليه ـ وهو الأزهرى الدراسة الملم بالفرنسية والملقّب بالشيخ أن يشير إليها غيرة على دينه ودفاعا عنه ! ولانذكر منها إلا كيفية ترجمة جاك بيرك لفعل «يتوب» عند ارتباطه بالله عز وجل وأنه قد أصر على ترجمته فى كل تصريفاته بما معنا أن «الله هو الذى يتوب عن خطئه» !! مستخدماً بذلك مالم يسبقه إليه أحد من بنى جلدته من المستشرقين ، ودأب على عبارة se repentir ، وهى فى الفرنسية فعل منعكس على الفاعل أى الفعل اللازم وكان لزاما عليه استخدام العبارة الصحيحة بالنسبة لله عز وجل وهى être rémissif . فمن المعروف أن فعل يتوب ، بالعربية ، يقابله بالفرنسية se repentir عندما يستخدمه انسان ، بمعنى انه يتوب عن خطأه . وفى العربية أيضا ، نفس الفعل (يتوب) حينما يستخدم مرتبطا بالله عز وجل ، فإنه تلقائيا وبلا تردد يأخذ معنى faire rémission ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعفو عن أخطاء الناس فهو فعل متعد . وهذا الاختيار أو هذه التفرقة فى معنى هذا الفعل لاتغيب عن أى مسلم أو عن أى مترجم أمين . ولانعتقد أن السيد جاك بيرك يجهل ذلك ، أو أن هذه الصياغة أتت سهوا فى عشرات المواقع !

ورغمها ، نرى سيادة الدكتور محمود عزب يضخم كل هذه الأخطاء والمآخذ ويستهين بأمرها ليكتب عنها فى نهاية تقريره : «.. وإذا أصلحت الأخطاء التى ننبه إليها فى دراستنا هذه فلسوف تكون هذه الترجمة من أحسن الترجمات على مستوى البلاغة والاسلوب . أما الدراسة التى ألحقها بالترجمة فهى مرفوضة فى نظرنا .. ونرى ضرورة حذفها تماما وعدم وضعها مع نص الترجمة ، لأنها تسئ إليها» . دون أن يوضح كل ما بها من فريات ومغالطات !!

ومن المؤسف أن هذا هو التقرير الوحيد المؤيد لترجمة چاك بيرك ، بغير وجه حق ، ضمن عشرة تقارير منفصلة كان فضيلة الأمام الأكبر قد طلبها إضافة إلى اللجنة التى قام بتشكيلها لدراسة البحث المرفق بالترجمة . وفيما يلى قرار تشكيل اللجنة ويليه التقرير الجماعى الذى تقدمت به .

** صورة لقرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر **

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

قرار شيخ الازهر

رقم (٢٠٤) لسنة ١٩٩٥

شيخ الازهر

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدله له ..
- وعلى قرار رئيس الجمهوريه رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م باصدار اللائحه التنفيذيه للقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨م ...
-

قرر

الماده الاولى :

تشكل لجنة من السادة :

١)	الاستاذ الدكتور / مصطفى محمد الشكعه	عضو مجمع البحوث الاسلاميه والاستاذ بجامعة عين شمس
٢)	الاستاذ الدكتور / محمد بدر	الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس
٣)	السيد السفير / احمد بن خليل	مساعد وزير الخارجيه سابقا
٤)	الاستاذه الدكتوره / زينب عبد العزيز	الاستاذه بجامعة المنوفيه
٥)	السيد الدكتور / محمد عبد الصمد مهنا	المدرس بكلية الشريعه بجامعة الازهر

وتكون مهمة هذه اللجنة :

١) ترجمة الدراسه التى كتبها الاستاذ جاك بيرك والحقها بترجمته للمصحف الشريف باللغه الفرنسية .

٢) حصر الاخطاء التى جاءت بترجمة الاستاذ جاك بيرك ووضع بيان بها مع التصويب .

وللجنة اختيار احد اعضائها ليكون مقررا لها ..

الماده الثانيه :

على الجهات المختصه تنفيذ هذا القرار ..

صدر فى : ٦م من المحرم سنة ١٤١٦ هـ

الموافق : ٤م من يونيو سنة ١٩٩٥م

شيخ الازهر

جاد الحق

(جاد الحق على جاد الحق)

الى مكتب السيد الاستاذ / رئيس ... للعلم واتخاذ اللازم نحو اخطار الادارات التابعه لكم للعمل بالتنفيذ ...

رئيس السكرتارية الادارية

(حلمى أبو النور)

الاستاذ محمد ...

ادارة البحوث والنشر
وارد رقم ٥٥٧
التاريخ ٢٦/٦/١٩٩٥

٢٦/٦/٩٥

** ملاحظات اللجنة المختصة **

بمراجعة ترجمة الأستاذ جاك بيرك لمعاني القرآن إلى اللغة الفرنسية

بناء على القرار رقم ٤٠٢ لسنة ١٩٩٥ لفضيلة الإمام الأكبر / شيخ الازهر ، الصادر فى ١٩٩٥/٦/٢٦ ، اجتمعت اللجنة المشكلة لترجمة الدراسة التى كتبها الأستاذ جاك بيرك وألحقا بترجمته للمصحف الشريف باللغة الفرنسية وحصر الأخطاء التى جاءت بهذه الترجمة . وقد خرجت اللجنة بانطباع عام هو :ـ

أن الأستاذ جاك بيرك جاهل باللغة العربية ، مغرض متعمد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين ، وأنه يفتقد الأمانة العلمية والأدب الأخلاقى الذى يجب التحلى به عند تناول نص القرآن الكريم بالبحث والدراسة .

وقد خرجت اللجنة بانطباعها هذا بناء على الملاحظات التالية والتى توردها اللجنة هنا كمجرد نماذج :

١- جهله باللغة العربية : وذلك لعدم إدراكه وإمكاناتها المتفردة ، ولقراءاته الخاطئة فى التشكيل والنحو ، ثم يخرج بنتائج ينتقد بها القرآن ! وقد أعطى لنفسه حق تفسير القرآن ، وهو لايملك المقومات البدائية لذلك ، ويدعى القدرة على تفسير المعانى التى عجز عنها الطبرى إذ لم يستطع ـ فى نظر بيرك ـ إلا الإحساس بها فقط دون تفسيرها (ص ٧٤٧) .

٢- عدم فهم النص القرآنى : بناء على جهله باللغة العربية وقواعدها فى النحو والقراءة الصحيحة فهو يسيئ تفسير السور وأسمائها ، ويفتئت على

نصوص القرآن بتقريره مفاهيم ، وأحكاما خاطئة وإلباسها للقرآن قسراً ، من قبيل قراءته ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ التى وردت فى القرآن بمعنى الله سبحانه وتعالى قرأها بمعنى الدنيا ، أو أى عالم من العوالم (ص ٧٥١) . وكذلك تخليطه فى تفسير آية ﴿ليظهره على الدين كله﴾ تخليطاً يؤدى إلى الكفر البواح إذا ما اعتقده مسلم . والأدهى من ذلك كله أنه يعتمد على هذا الجهل باللغة وقواعدها ليدلل على أن بالقرآن أخطاء لغوية لاتغتفر ، ولايمكن تبريرها وأفرد لها العديد من الصفحات !

٣- عـــدم الأمـــانة : وذلك بتشويه النقل عن المفسرين القدامى كالزمخشرى؛ وبمحاولته إثبات تاريخية النص القرآنى زوراً قياساً على تاريخية الأناجيل وبالتالى تأكيد أن القرآن من صنع البشر مثلها (ص ٧٤٥) ؛ لجوئه إلى استشهادات يثيرها لتثبيت صحة فرياته ؛ وادعائه فى تهكم مرسل بتهمة كبيرة لشخص يدعى فضل الرحمن ـ ادعى أنه من علماء المسلمين ـ أثار فضيحة فى بلده دون أن يشير إلى مضمون هذه التهمة أو المرجع الذى استقى منه هذه المعلومة ، أو موقف المسلمين منه (ص٧٨١) ؛ واستخدامه أسلوب التزوير العلمى بفصله مقولة «لكل كتاب أجل» لأبى بكر الصديق من مضمونها الحقيقى التى قيلت فيه وإعطائها معنى يطابق التحريف الذى يبغيه ويدعو فيه بتغيير القرآن وانتهاء أجله طالما أن لكل كتاب أجلا !!

٤- ترجمته محرفة : فهو يستخدم كلمات وألفاظا لاتعبر عن المعنى المقصود كاستخدام كلمة «قطع» للتعبير عن السور ؛ وكثيراً ما يلجأ للترجمة الحرفية والتى تؤدى إلى معنى غير مفهوم لاعربياً ولا فرنسياً ـ وهو مايثبت جهلاً فاضحاً ، أو سوء نية مبيتاً ، وذلك من قبيل ترجمته اسم سورة الروم بكلمة روما عاصمة إيطاليا ، فالمقصود بالروم هنا البيزنطيون ، كما أن تعليله

لهذه الترجمة الخاطئة فى صفحة ٤٣١ يتخذ منحى تحريفيا لايليق بالقرآن الكريم ككتاب من عند الله وإنما يليق بقصة غرامية ؛ وعادة ما يختار المفاهيم التى تحط من المعنى وتتعارض فى ذات الوقت مع المعروف عرفاً كأن يختار من بين معانى الغيب معنى المجهول ، ومن معانى الدين معنى الذل لا الاعتقاد؛ وتشويهه آية ﴿إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة﴾ فترجمها بأن «الله لايشمئز أن يضرب مثلاً ما بدودة» فالاستيحاء ليس الاشمئزاز والبعوضة ليست الدودة (ص ٧٥٤) ؛ وترجمته خطأ كلمة اليقين على خلاف ماذهب إليه المفسرون بأنها الموت وترجمها بمعناها الحرفى وهى درجة عليا من الإيمان ، وكأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان عليه أن يعبد الله حتى يصل إلى هذه الدرجة وكأنه لم يكن كامل الإيمان ؛ وترجمته «أولو الألباب» بكلمة أولوا النخاع ، وعبارة ذات الصدور بمعنى يضلل القارئ (ص ٧٥٩) ، وترجمته السفيهة لعبارة «إنك لتصل الرحم» بقوله إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحترم الروابط الشهوانية والعاطفية واعتبر أن صلات الرحم هى صلات الشهوة .

٥- **كلمة القرآن** : يستخدم بيرك عدة عبارات للدلالة على القرآن الكريم، مما يؤدى ويوحى بالاستخفاف بقدسيته وإلى تشويش ذهن القارئ : فأحياناً يكتب كلمة Livre وتعنى كتابا بحرف اللام الكبير للتعظيم ، أو يكتب livre بحرف اللام الصغير ، وكأنه أى كتاب من الكتب وأحياناً كلمة oeuvre وتعنى عملاً تصنيفياً أو أى مؤلف وأحياناً كلمة Recueil وتعنى سجلاً أو ديواناً من الشعر ، وأحياناً أخرى كلمة écrit وتعنى مكتوباً ، أو كلمة تنزيل .

٦- **«الله فى القرآن»** : الإصرار على إظهار الله سبحانه وتعالى فى صورة مرعبة ومخيفة من القسوة والفظاظة ؛ واستخدم ألفظا بها تطاول على الذات

الإلهية كقوله «قد يبدو من السخف أن نسمع الله يلجأ إلى القسم مستعيناً بصيغ مشوبة بالمعتقدات الوثنية» (٧٤٢) ؛ وتلبيسه على القارئ بأن الله لايعدو أن يكون نظرية وذلك عندما يقول «الله فى القرآن» أى الله فى نظرية القرآن ! كما أنه يرى أن الله سبحانه وتعالى ثنائى الصورة فى القرآن : فهو من ناحية مطلق ومن ناحية أخرى يتسم بصفات الأنسنة إذ يسعد بالمديح ، ويحب أن يكون محبوباً ، ويصلى (ويشير هنا إلى صلاته سبحانه على النبى صلى الله عليه وسلم!) كما أنه شعر بالندم ! ويرى بيرك أن سلسلة صفاته تؤكد هذه السمة الإنسانية ، وأنه «يمحو ويبدل ويؤكد الرسالات وفقاً لهواه» .

٧- **جمع القرآن :** يرى بيرك أنه قد تم تحريف القرآن عند تجميعه وعند تشكيل القراءة والترتيل ، وأنه مازال يحمل آثار ذلك حتى يومنا هذا . كما يرى أنه قد تم جمعه بطريقة منطقية وملفقة فى ذات الوقت ؛ وإن بنيات القرآن قد روعيت وأدمجت فى المجتمع الجديد باسم القانون الإلهى ، وأن هناك دوماً نفس الخلط (ص ٧٢٠). كما يشير إلى أن التجزئة والتقطيع فى القرآن ليس عارضاً وإنما يشكل قاعدة مطردة فى الخطاب القرآنى (ص ٧٢٧) .

٨- **الطابع البشرى للقرآن :** يستخدم بيرك كلمات وتعبيرات توحى بالطابع البشرى للقران كأن يقول «طابعه المقصود» أو «المتعمد» ؛ والأداء بأنه من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام (ص ٧١٧ ـ ٧٢٠) ؛ ويحاول الإيحاء فى أكثر من موضع بأن الرسول قد كتبه متأثراً بالشعر الجاهلى والفكر اليونانى ومزامير داود ، وخلوصه إلى تأييد مقولة «خلق القرآن» .

٩- **القرآن شعر قديم :** يؤكد بيرك أن القرآن عبارة عن نوع من الشعر الحديث الذى لم تعرفه اللغة العربية إلا منذ جيل فقط ؛ كما يربط بين

القرآن والشعر القديم ليخلص إلى نتيجة أن القرآن عبارة عن نظم شعر (ص ٧٨٤) ؛ ثم يُقوِّم القرآن الكريم بشعر بارمنيدس الشاعر اليونانى ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد استوحى منه سورة الإخلاص ! وأنه لو تم إخضاع القرآن لعلوم اللغويات الحديثة ونظرياتها لتبددت قيمه العديد من السور .

١٠- انتقاده وتقويمه للقرآن : ويؤكد بيرك أن أسماء السور يكتنفها الغموض والمجازفة ويعتبر قصار السور أحاجى وألغازاً ؛ وقد جعل من فقه اللغة أساساً للحكم على القرآن فجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً مع محاولته إثبات أن قواعد اللغة أصبحت تتعدى مفردات القرآن الذى يلجأ إلى الغيب لمداراة عجزه ؛ ويرى أن هناك تناقضاً بين كلمتى الرحمن والرحيم ؛ ويعتبر قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام محيرة للأخلاق الإنسانية وأنها من قبيل عبث كيركجارد (ص ٧٦١) ؛ وتصل به المغالطة إلى قوله «إن الإسلام يعلن طواعية عن نفسه أنه علمانى (ص ٦٧٧) ؛ وإن القدر فى الإسلام كالجانسينية المتزمتة فى المسيحية (ص ٧٦٧) ؛ وينساق فى بناء أحكام خاطئة قائمة على ترجمات ، أو معلومات خاطئة ليبنى حكمه الخاطئ؛ وينتهى من ذلك كله بادعائه أن القرآن جاء فى مكان محدد لزمن محدد ولظروف بشرية محددة ، وأن هذه الظروف دائمة التغير بمعنى أن القرآن يجب أن يتغير بتغير الظروف . والأدهى من ذلك كله أنه يقارن أسلوب الحق جل وعلا بأسلوب باسكال القس الأديب الفرنسى علاوة على افتخاره ببنى جنسه بقوله باسكالنا (ص٧٥٤) . ويخرج من بحثه هذا بأن ثبات النص القرآنى هو وصمة جمود ، وأن النص كله عبارة عن التفات لغوى أدخلت عليه بعض العبارات العبرية وغيرها ... إلى جانب أنه يرى أن أسلوب القرآن مشوش وأن بعض السور بها «إيقاع لاهث وصخب سريالى» .

١١- انتقاده للحديث والسنة : يوضح بيرك أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن قياس أحداث عن أحداث سابقة ويخرج بدعوته إلى نبذه هذه القواعد وإنتاج قياس طبقا لمفاهيم العقل البحتة (ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩) . لذلك يرى أنه لايمكن الاعتماد على الحديث النبوى ، لأنه ملئ بالفجوات وغير دقيق ويفتقد المصداقية !

١٢- اتهام علماء المسلمين : يقول أنهم تحيزوا لاستخلاص معان بعينها من القرآن بينما دأب المستشرقون على كشف ما به من خلط ومتناقضات . وذلك إلى جانب ذكره أسلوباً مبتذلاً عند الكلام عن مفسرى القرآن كقوله «سفاسف المفسرين» ص (٧٨٠) .

١٣- نفيه وجود شريعة بالقرآن : ينفى بيرك طابع الشريعة عن القرآن إنها خليط غامض من الدين ، والأخلاق ، والقانون . وأن ما به من أحكام غامضة ومأخوذة عن قانون جوستنيان ، مؤكدا «إن غموض تعبير الأحكام يسمح بتحايل غير مقبول فى أنظمة أخرى» !!

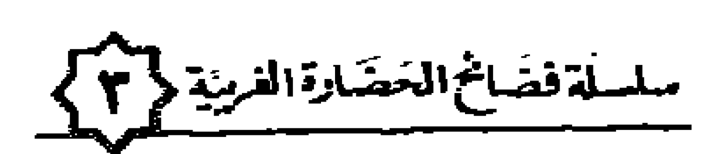
١٤- فصل الدين عن الدنيا : ويخرج بيرك من ترجمته لآية ﴿ماكان لبشر أن يؤتيه﴾ (الآية ـ ٧٩ آل عمران) بأنها [عن أن يتولى الدين السلطة] ، وهو غير المقصود من الآية ، فمقصودها ليس النهى عن السلطة وإنما عن ادعاء الألوهية لمن يتولون السلطة . وكذلك استدلاله خطأ بالآية ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ (الآية ٢١/٢٢ سورة الغاشية) للقول بعدم وجود سلطة فى الإسلام لرجال الدين .

١٥- الدعوة التى يدعو اليها : ويخلص من كل ما تقدم بأن هذا الدين مبهم ويعنى الخضوع والتبعية ؛ مؤكدا على تناقض الإسلام الذى يعلن من

ناحية إنه علمانى ، ومن ناحية أخرى يعتبر أن الله هو محرك الكون ؛ ثم يستند إلى نداءات القرآن للعقل ليطالب المسلمين بالتعقل وتعديل النص القرآنى والبحث عن مصادر جديدة للتراث مؤسسة على الطبيعة لا على الغيب، مطالبا فى نحو عشرة مواضع من بحثه بضرورة إخضاع القرآن للنقد التاريخى وعلوم اللغويات الحديثة لكشف ما يحتوى عليه من تحريف وتناقض، وذلك بغية نقله إلى الحاضر ، وإلا سينفصل الإسلام عن مسيرة العالم ، ولن تعود له قوته الأصلية . فالإسلام بشكله الحالى غير قادر على جهد التأقلم المطلوب منه ولا على استيعاب الثورة الغربية التقنية والعلمية خاصة لوازمها المعرفية والاجتماعية .

وختاما ، تشير اللجنة إلى أن هذه الأفكار التى ضمنها الأستاذ بيرك بحثه الذى يقع فى ٨٢ صفحة ليست عفوية وإنما هى التى اعتمد عليها فى ترجمته لمعانى القرآن الكريم حتى تكون الترجمة مطابقة لهذه الأفكار المنحرفة .

الفهرس



ترجمات القرآن إلى أين ؟

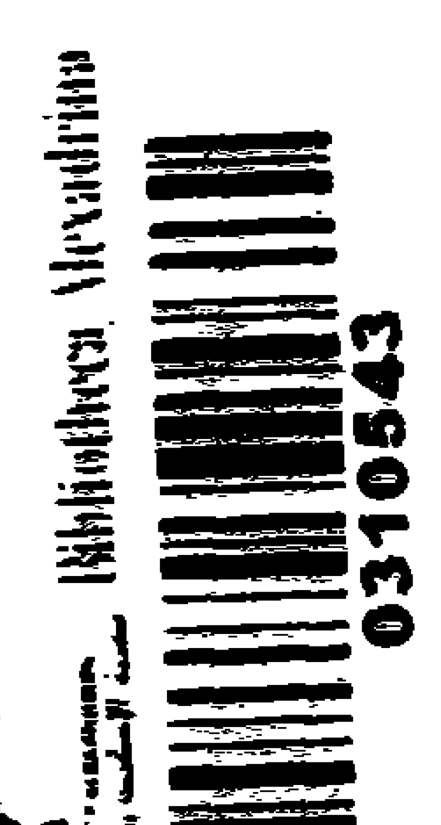
وجهان لجاك بيرك

الأستاذة الدكتورة

زينب عبد العزيز

يقول الأب روبير كاسبار « إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً ، بل ولم يحاول ذلك مطلقاً .. ، وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال (يوحنا الدمشقى ، وتيودور أبى قرة أو بولس الصيدونى) ، لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته ، وهى : التصعيد إلى الله الواحد الأحد ... ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحى قد اكتفى لمدة قرون طويلة بتلطيخ الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال ، دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة ، فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر ، أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام ، وقد تمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل وتحت إشراف أسقف دير كلونى ، مع العلم بأن هذه الترجمة وكل الترجمات التى تلتها لم يكن لها أى هدف سوى أن تكون الاساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن .

نعم ، وجهان لجاك بيرك وليغضب كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .... وأقول وجهان لأنه تعامل مع النص القرآنى بوجه ، ويتحدث عنه فى أحاديثه السيارة بوجه آخر ... ولا أناقش هنا مكانة جاك بيرك مستشرقاً أو صديقاً للعرب والمسلمين - حتى ولو كان على مدى كتاباته بأسرها - لكن ما اقترفه فى حق القرآن والإسلام تضامناً مع تلك الهجمة الشرسة التى يقودها الغرب برياح تعصبه الراسخ بحاجة إلى وقفة أمام إلى تملق طائش أو بعض النفاق المنمق .



النهار للطبع والنشر والتوزيع

٧ ش الجمهورية - عابدين تليفاكس : ٣٩١٣٦٨٨